الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

الجامعة الأفريقية "أحمد دراية" أدرار

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم الشريعة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية.

تخصص: دراسات قرآنية.

إعداد الطالبة:

حليمة بن الطيب.

إشراف:

الدكتور رابح دفرور.

♣السنة الجامعية: 1431-1432هـ/2010-2011م.♣

إهـــــداء

أهدي هذا البحث إلى روح سيدي ونبي وقرة عيني محمد – صلى الله عليه وسلم –

وإلى روح من كانت كتبه ومؤلفاته سببا في توجه رغبتي إلى أن أبحث في مجال الدراسات القرآنية ؛ الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله –

وإلى من كانا سببا في وصولي إلى هذا المقام ؛ والدي الكريمين .

وإلى من رافقتني دعواتهما طيلة مشواري العلمي ؛ جدي – رحمه الله – الذي وافته المنية والبحث في مرحلته الأخيرة من الإنجاز ، وجدتي بارك الله في عمرها .

إلى زوجي الكريم .

إلى جميع أساتذتي بالحرم الجامعي ، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور رابح دفور ، والأستاذ يونس ملال ، والأستاذ نصر الدين عزوني .

إلى مشائخي بالمدرسة القرآنية " الشيخ محمد بن لكبير " بلغمارة بودة .

إلى جميع إخوتي وأخواتي ، وعائلتي ، وعائلة زوجي الكريم.

شكر وعرفان

أشكر الله تعالى أولا على ما أولاني من الفضل والنعم، والحمد له –تعالى– بأن من علي بأفضل الكرامات؛ وهي كرامة العلم ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﷺ ﴿٤٣﴾ ﴾ الأعراف: ٤٣ .

وأشكر الأستاذ المشرف ؛ الدكتور رابح دفرور على قبوله بأن يكون مشرفا على هذا البحث ،ومتابعته له بالتصحيح والتوجيه،والنقد البناء،وأتقدم بالشكر الخاص للأستاذ : يونس ملال؛ الذي ساعدني كثيرا على إثراء الموضوع والبحث فيه ، وتقديم توجيهاته ، ونقده البناء ، والأستاذ : عزوني نصر الدين الذي بث في حب العلم والعمل ، وروح المثابرة في سبيل العلم .

وأتقدم بالشكر الخاص كذلك للزوج الكريم على دعمه المادي والمعنوي ، وأشكر جميع صديقاتي اللواتي ساعدنني في إثراء المعلومات في هذا البحث ، وأخص بالذكر : فاطمة الزهراء بن ساحة ، وخديجة قاسمي . والزهراء بومدين .

وأتقدم بالشكر لعمال المكتبة بكلية العلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية بالجامعة . كما لا أنسى من كانا سببا في تربيتي ورعايتي ؛ والدي الكريمين.

قَالَ تعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ ٱقۡرَأۡ

بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ

٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤

عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ

٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ ﴾ العلق: ١ – ٧

صدق الله العظيم

مقدمة البحث :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام من كان خلقه القرآن ، وعلى آله وصحبه الطيبين الأطهار .

وبعد :

لما كان القرآن الكريم دستورا للمسلمين ومنهاجا لهم ، وهو المخلص الوحيد للبشرية حين يعمها الفساد وتتخبط في دجى الجهل والأمية ،كان لزاما على المسلمين أن ينيروا دربهم ، وأن يقودوا غيرهم من الأمم نحو المجد والرقي ، لأن القرآن كان ولا يزال ، وسيظل الأجدر للقيام بعملية تحديد معايير التقدم ، و يكون ذلك مبنيا على مقاييس العلم والمعرفة والعقل .

كان القرآن الكريم سببا في بناء الحضارة الإسلامية ، ذات المقومات السامية في فترة وجيزة ، ولم يأت ذلك إلا بعد تعلمه ، وفهمه ومدارسته ، وحفظه ، والعمل به ؛ ذلك أن الحضارة لا تقوم إلا بفهم أصحابها لمبادئ دستورها وغاياته ، مما يؤدي إلى التفاعل المثمر بين الأمة والقرآن ، فتسعى جاهدة لتجسيد تعاليمه على أرض الواقع ، ليصل بها إلى سرعة في التشييد الحضاري، ولما كان السبيل الوحيد لكل ذلك هو التدبر لكتاب الله تعالى ، فلا مناص منه إذن ، لكونه يفتح للمسلم آفاق العلم والمعرفة ، ويرسخ الإيمان في القلوب . والإنسان كلما ازداد تدبرا للقرآن ، ازداد علما وعملا بـه ، ويقينا بأنه من عند الله تعالى.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩ .

إن العيش مع الآيات القرآنية ، واستشعار عظمة معانيها، يؤدي إلى استكشاف معان بصفة مستجدة ؛ ذلك أن القرآن الكريم استوعب قضايا ومستجدات لم يستوعبها كتاب قبله ، روي عن ابن مسعود – رضي الله عنه–قوله : " من أراد العلم فليثور القرآن ،فإن فيه علم الأولين والآخرين "و أخرج البيهقي من حديث أبي عبيدة "يا أهل القرآن لا تتوسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار وأفشوا ما فيه لعلكم تفلحون" .

إن إحياء المنهج القرآني بشكل يهيمن على حياتنا أمر لابد منه ، حتى يكون القرآن الكريم محور زعزعة هذا الجمود والشلل الفكري قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ . . . ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩ يعني للتي هي أقوم في جميع

مناحي الحياة ، والهداية تحتاج إلى الاستبصار ، وهذا الأخير لن يتحقق إلا بفعل القراءة الموجهة نحو النظر في الكون وفي غاية الوجود الإنساني وفي مصيره الأخير .

2 /أهمية الموضوع :

إن مما يدعو إلى التفكير ويلفت الانتباه والنظر، هو أن كلمة "اقرأ" هي أول كلمة بدأ بها القرآن الكريم ، كان يمكن أن يبدأ الوحي بكلمة غيرها ، فابتداؤه بها يدعو الإنسان للبحث عن حقيقة هذه القراءة وأهميتها (في القرآن الكريم تحديدا) .

ثم إن المتتبع لما ترويه السيدة عائشة في مناسبة نزول هذه الآية ، وكيف أن ملك الوحي كرر هذا الأمر للنبي- صلى الله عليه وسلم – ثم ضمه إلى صدره ليتلقى هذا الأمر العظيم ، وحال النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد تلقيه الأمر الإلهي بالقراءة ، يدرك أن ثمة سرا عظيما يقف وراء هذا الأمر العظيم ، مما يجعل للقراءة مكانة رفيعة في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – و في حياة أمته من بعده .

من ثمة صار لزاما على الإنسان المسلم أن يتساءل عن : ماهية القراءة ؟ ولم القراءة؟وكيف تكون القراءة ؟

كانت القراءة في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – وما بعده من الأزمنة المتقدمة فعلا يعمل على ترقية المجتمعات والشعوب فوصل بها إلى أسمى ما تريد وتبغي ؛ أخرجها من ظلمات الجهل ، ونور طريقها ، وفتح أفاق مستقبلها ، فزادها بذلك أمنا واطمئنانا ، ورفعة وكمالا ؛ كل ذلك كان بفهمها الصحيح لفعل القراءة واستمراره فيها .

بيد أن القراءة فقدت قيمتها وأهميتها في واقعنا هذا الذي أضحى الإنسان فيه فارغ الروح ، فاقد البصيرة ، لا يعرف أهمية القراءة في النهوض بحياته ، وبالتالي فهو لا يعرف ما الذي يجب عليه أن يقرأ؟ ولماذا يقرأ؟ ولا كيف يقرأ؟ يعني أن قراءته لا تؤدي فعلها أو أثرها المتوخى ، لا من حيث ا لمنهج الذي يسلكه ، ولا من حيث الهدف الذي يرمي إليه ، إلى أن آل حاله وأمره إما أن يكون ذليلا في يد غيره ، أو يكون مذلا لغيره .

فعلم هذه هي نتيجته ، وقراءة هذه هي آثارها ؛ تورث الإنسان ذلا وانكسارا ، أو تورثه عجبا واستكبارا، قد يكون الجهل أخف ضررا منها، وحياة الإنسان في زمنه الأول أفضل بكثير من زمنه هذا الذي فقد فيه شخصه وهويته .

وما يمكن استخلاصه أيضا هو أن هذه الأمة بنيت بمدخل القراءة بعد أن أرسل إليها نبيا علمها وزكاها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة: ٢ وإعادة بنائها بعد سقوطها لابد له أن يكون بنفس المدخل قال الإمام مالك – رحمه الله –:"لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها ".

3 / ســـــؤال البحث :

إذا اعتبرت القراءة معيارا يقاس به تقدم الأمم وازدهارها ، وكانت لها العناية البالغة في القرآن الكريم ، فما هي دلالاتها ، ومجالاتها ، و مقاصد ها التي يمكن أن ترشد القارئ إلى هدايات قرآنية، تمنع فعل القراءة من أن يتحول من عامل يقوم طريق الأمة و يعود عليها بالنفع والخيرات ، إلى عامل يؤدي بها إلى الهاوية والهلاك . ؟

4 / أسبـــاب اختيـــار الموضـــوع :

يقف وراء اختياري لهذا الموضوع سببان ، أحدهما ذاتي والآخر موضوعي :

ا/ السبب الذاتي :

الميل الشديد، والرغبة الأكيدة في البحث في مجال التفسير الموضوعي ، الذي أصبح قبلة الباحثين وملاذهم،لما يكتسي من الأهمية البالغة في الغوص في الموضوعات القرآنية المتعلقة بحياة البشرية واستخلاص أسسها من خلال التأملات القرآنية.

ب/ السبب الموضوعي :

ما يشهده واقع القراءة من تراجع في الأوساط الإسلامية ، وحاجة الأمة إلى ترشيد فعل القراءة فيها استنادا إلى الرؤية القرآنية .

5/ أهـــداف البحث :

يهدف البحث إلى الإجابة عن القضايا الآتية :

- أهمية القراءة في الرسالة الخاتمة .

- معرفة حقيقة القراءة التي دعا إليها القرءان الكريم.

- معرفة مجالات القراءة ومقاصدها من خلال القرءان الكريم.

6/ الدراســـات السابقـــة :

لم أكن سباقة إلى الكتابة في الموضوع ، فقد اطلعت على مقال بعنوان : مفهوم القراءة في القرآن الكريم للباحثة المغربية نعيمة لبداوي ، ومقال آخر لها بعنوان القراءة والبناء الحضاري ، غير أني رأيت أن هذين المقالين لا يكفيان للإحاطة بموضوع القراءة في القرآن الكريم ، على الرغم من أنهما يحويان معلومات دسمة تتعلق بموضوع القراءة ، واطلعت كذلك على كتاب بعنوان " التفسير الموضوعي للقرآن الكريم مع القراءة بين الوسائل الربانية والأسباب البشرية المادية " للدكتور عبد الجليل عبد الحليم ، جعله كدراسة موضوعية لسورة العلق ، لكنه اقتصر فيه على الجانب الروحي للقراءة ، وفرق فيه بين القراءة الربانية والقراءة البشرية في وسائلهما وخصائصهما ، ونتائج كل منهما ، نظرا لكون مؤلفه صاحب نزعة صوفية ، إلا إنني- وحسب إطلاعي - لم أعثر على موضوع يتحدث عن القراءة بمنهج التفسير الموضوعي للموضوع القرآني ، إلا موضوع عثرت عليه مؤخرا ، قام به أحد الباحثين في جامعة أم القرى بعنوان " فقه القراءة من منظور قرآني " غير أني لم أتمكن من الحصول على الرسالة للإطلاع على ما كتب فيها ، فحاولت أن أبحث في الموضوع بما وفقني إليه الله تعالى.

7/ المنهـــج المتبـــع :

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي والتحليلي الاستنباطي ، لأن الاستقراء هو الانتقال من الجزء إلى الكل ، والباحث في التفسير الموضوعي يتتبع المفردة واشتقاقاتها والمعاني القريبة منها في القرءان الكريـم ، ثم ينتقل بعدها إلى العبارة ، والبحث الكلي لهـــا في السياق القرآني ، ثم يخرج منها بنظرة كلية متكاملة عن الموضوع المراد دراسته.

8/ منهجيتـــي في البحـــث :

منهجيتي في البحث أني لا أترجم للأعلام سواء كانوا مغمرين أو مشهورين ، وأهمش الآيات في المتن حتى لا أثقل الهوامش نظرا لكثرتها ولما تقتضيه طبيعة الموضوع ، وأتخير الحديث من الصحاح فإن لم أجد انتقيته مما تيسر من المصادر الحديثية .

9 / الصعوبـــــات :

من الصعوبات التي تلقيتها في بحثي في هذا الموضوع عدم توفر المادة العلمية الخاصة بالموضوع – خصوصا بمكتبة الكلية – فاعتمدت بذلك على كتب التفسير وكتب الدراسات القرآنية ، وحاولت أن أستجمع منها بما وفقني إليه الله تعالى. إضافة إلى ذلك صعوبة تخريج الأحاديث ، نظرا لكون أكثرها لا يتوفر في الصحيحين مما يصعب الحكم عليها ، فاقتصرت إثر ذلك على بعضها دون البعض الآخر.

10/ خطـــة البحث :

قسمت هذا البحث إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : جعلته كمقدمات منهجية لموضوع القراءة ، وما تعلق بها من أبحاث حتى أضع الموضوع في إطاره العام ومن أهم هذه المقدمات:

مفهوم القراءة وتطوره في لغة العرب .

مكانة العلم في القرآن الكريم وعلاقته بالقراءة.

العلاقة بين القراءة والكتابة في القرآن الكريم.

العلاقة بين الدعوة إلى القراءة وألفاظ الأمي والأمية في القرآن.

أمية الأمة وأمية الشريعة.

الفصل الثاني : خصصته لدلالات القراءة في القرءان الكريم ، وقسمته إلى مبحثين : تناولت في المبحث الأول اشتقاقات الفعل قرأ ومعانيه في السياق القرآني ، وقسمته لأربعة مطالب ، وتناولت في المبحث الثاني الألفاظ المتعلقة بفعل القراءة ومعناها في السياق القرآني ، وقسمت المبحث إلى ثلاثة مطالب .

وقد خصصت هذا المبحث لهذه العناصر لضبط مفهوم القراءة في القرءان الكريم ، ثم التأكد من مدى موافقة القراءة لما هو معروف ، ومعرفة ما إذا كانت هذه الألفاظ تؤدي معاني القراءة نفسها ، أم أن القرآن الكريم ذكرها لتفيد معان أخرى غير القراءة.

الفصل الثالث : بحثت فيه مجالات القراءة في القرآن الكريم للتعرف على ماهية القراءة التي أمرنا بها ، وأهميتها ، وقسمته إلى ثلاثة مباحث ، تطرقت في المبحث الأول إلى قراءة القرآن ، وقسمته إلى مطالب تحدثت فيها عن فضله وعلاقة القارئ بالنص القرآني ، والفرق بين تفسيره وتأويله ،وبين تفسيره وقراءته ، والمبحث الثاني تطرقت فيه إلى قراءة الكون ، وتحدثت فيه عن

تعريفه ، ودعوة القرآن إلى قراءته ، وأهميتها ، وتحدثت في المبحث الثالث عن العلاقة بين قراءة القرآن ، وقراءة الكون للوقوف على سبب دعوة القرآن إلى قراءتهما، وتحديد مكمن العلاقة بينهما من القرآن الكريم تحديدا .

الفصل الرابع : فخصصته لخصائص القراءة في الرؤية القرآنية ، وقسمته إلى مبحثين : بحثت في المبحث الأول محددات القراءة وأهدافها في الرؤية القرآنية ، وبحثت في المبحث الثاني الفرق بين خصائص القراءة في الرؤية القرآنيـة ، وبين خصائصها في الرؤية المادية ، أبرزت فيها أهم نقاط الاختلاف بين القراءة في الرؤية القرآنية ، والقراءة في الرؤية المادية ، إبرازا لأهمية القراءة استنادا لمبادئ الهدي القرآني ، ثم ختمت البحث بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول :

متعلقات فعل القراءة

المبحث الأول :

مفهوم القراءة في لغة العرب والعلاقة بينها وبين العلم والكتابة .

المبحث الثاني :

العلاقة بين الدعوة إلى القراءة وألفاظ الأمي والأمية في القرآن.

تمهيد :

يقتضي منهج البحث قي التفسير الموضوعي للموضوع القرآني أن يستحضر الموضوع فيه من خلال المواضيع المتعلقة به، حتى يتمكن الباحث من الإحاطة بالموضوع بقدر أوفر . و يستحضر موضوع القراءة من خلال البحث في مفهومها وتطورها ، وعلاقتها بالعلم ، والكتابة ، والأمية ، لذلك فقد خصصت هذا الفصل لهذه المواضيع ، كما سأبين من خلال التفصيل فيها .

المبحث الأول : مفهوم القراءة في لغة العرب والعلاقة بينها وبين العلم والكتابة .

المطلب الأول : مفهوم القراءة وتطوره في لغة العرب :

يستمد فعل القراءة أهميته ومكانته في القرآن الكريم من كونه أول ما بدأ به الوحي عند نزوله على النبي – صلى الله عليه وسلم – فكان أول ما نزل من القرءان قوله تعالى : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ العلق: ١ – ٥ ومن هذا الأمر الرباني العظيم بدأ تشكل العقيدة والفكر ، وقام المجتمع ، وبنيت الأمة ، وشيدت الحضارة الإسلامية امتثالا لهذا الأمر الإلهي الأول وما استتبعه .

وتطور الأمم وازدهارها يقوم أساسا على قدر استفادتها من فعل القراءة ومدى استمراره فيها [1] ، وهو ما تنبئ عنه الكثير من الآيات القرآنية كما سيبين من خلال صفحات هذا البحث .

القراءة هي الميزان الذي يفرق فيه بين الأمي ، والمتعلم ، والجاهل والعالم ، وقد تعددت في هذا العصر أساليبها ووسائلها ، واتسعت معانيها حتى غدا المعنى المتعارف عليه عند إطلاقها بدائيا جدا، الأمر الذي يحتاج فيه إلى إعادة تحديد معناها وإعطائها تعريفا جامعا لكل صورها وخصائصها [2] ، وذلك من خلال البحث عن معانيها في اللغة وفي القرءان الكريم معا .

ا/مفهوم القراءة في اللغة :

القراءة في اللغة : مصدر مشتق من الفعل الثلاثي " قَرَأَ "، ويقصد به في معاجم اللغة الجمع والضم والتتبع، يقال : قَرَأَ الشيءَ جمعه وضم بعضه إلى بعض [3]. جاء في اللسان : " قَرَأَ ، يَقْرَؤُه ، قَرَأً ، وقُرْآنًا فهو مَقْرُوء ، وقرأ الشيء جمعه وضمه إلى

---

[1] ينظر القراءة والبناء الحضاري،نعيمة لبداوي . . .باختصار ،"مقال ص 1، موقع الرابطة المحمدية ، تاريخ التحديث 25ذي الحجة 1426ه الموافق ل25يناير2006م، تاريخ الدخول 2008/12/18م.

[2] ينظر التفسير الموضوعي بين كفتي الميزان ، مع القراءة بين الوسائل الربانية والأسباب المادية البشرية، عبد الجليل عبد الحليم ، سلسلة التراث الروحي ، ط(د،ط)،ص127 .

[3] ينظر لسان العرب ، ابن منظور ،قدم له العلايلي، دار لسان العرب بيروت لبنان ،دار الجيل ، ط(1408-14-1988م) م5. ماد قرأ ، ص42-43.

بعضه البعض ، ومنها قول العرب : ما قَرَأَتْ هذه الناقة سَلى قط ، وما قَرَأَت جنينا قط ، أي لم يضم جمعها على ولد . وقَرَأْتُ الكتابَ قرَاءةً [1] ومنه سمي القرآن قرآناً [2] (عند من يقول بالاشتقاق) .

وقال ابن الأثير : :" والأصل في اللفظة الجمع ، وكل شيءٍ جَمَعتَه فُقد قَرَأتَهُ [3] ".

وقيل : إن هذا المعنى ينصرف لدلالة أصلية تقع على معنى التتبع و الانتقال . قال الليث :" الإنسان يَقتَري فلاناً ويُقتري سبيلاً ، و يقرؤه أي يَتَتَبَعُهُ ، وقَرَأْتُ البلادَ قَرْواً إذا تَتَبَعْتَهَا تخرج من أرض إلى أرض". وقال ابن سيده : " قَرَأَ الأرض قَرواً واقتراَهَا وتَقَرأَهَا تَتَبَعَهَا أَرْضاً أَرضاً ، وسار فيها ينظر حالَهَا وأَمْرَهَا " . وقال بعضهم : "ما زلْتُ أَسْتَقْرئُ الأرضَ قرْيَةً ،وقَرَأَتِ السحابةُ الأرضَ إذا تَتَبَعَتهَا بمطرها "[4] .

مما يستخلص بعد الوقوف على هذه المعاني في كتب اللغة أن لفظ القراءة يرجع إلى معنيين هما : الجَمعُ والضَمُ ، والتَتَبُعُ ، وكلاهما مستلزم للآخر، فالجمع للشيء يستلزم تتبعه حقيقةً ، وضمُ القول بعضَهُ إلى بعض يكون بعد التتبع والاستقراء .

ب /تطور مفهوم القراءة عند العرب :

كان فعل القراءة محصوراً في دائرة ضيقة لا تتعدى الإدراك البصري للرموز ومعرفتها ، و النطق بها ؛ فكل من سلم نطقه وآداؤه فهو عند العرب قارئ جيد ، ثم تغير هذا المفهوم إلى أن أصبحت القراءة عمليةً عقليةً فكريةً مفادها الفهم الدقيق للرموز

---

1 ينظر المصدر السابق من الصفحة نفسها .

[2] ينظر المصدر نفسه ، من الصفحة نفسها ،التفسر الكبير ، ابن تيمية تحقيق د ، عبد الرحمن عميرة ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان (د،ط) .ص89 .

[3] لسان العرب ، ابن منظور ، مادة قرأ، م 5، ص43.

[4] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

و الإحاطة بمدلولاتها من الأفكار ، ثم تطور هذا المفهوم بعد ما أضيف إليه عنصر آخر ، هو تفاعل القارئ مع النص المقروء تفاعلاً يجعله يغضب ، أو يحزن ، أو يفرح القارئ ، وأخيراً تحول هذا المفهوم إلى استخدام ما يفهمه القارئ في حل المشكلات ، واستخلاص ما ينفعه في المواقف الحيوية ، وإلا فلا يعد قارئا بالمعنى

الحقيقي لمفهوم القراءة[1] .

يعني ذلك أن ما يميز به قارئ جيد وقارئ رديء ، هو عمق الفهم للرسالة التي يريد صاحب النص إيصالهـــــا ، في حين كان من قبل القارئ الجيد هو من يقرأ النصَ بطلاقة وسرعة ، ويحسن الوقفَ والوصلَ.

لذلك فإن فعل القراءة لابد له أن يقوم على أربعة أسس :

أولـــها : التعرف والنطق

.ثانيهـــا : الفهـــــــم .

ثالثهـــا : التفاعل و النقد .

رابعهـــا : حل المشكلات والتصرف في المواقف الحيوية على هُدَى المقروء[2] .

جـ – القراءة عند المسلمين :

كانت القراءة في عصر النبي – صلى الله عليه وسلم – بمعنى تعليم تلاوة القرآن مع تعليم معناه ، والإقراء بمعنى تعليم تلاوة لفظ القرءان مع تعليم معنى اللفظ الذي يحتاج إلى تعلمه.

و استعملت بعد عصر النبي– صلى الله عليه وسلم – بمعناها الظاهر أي بمعنى التلفظ بالألفاظ والنطق بها ، واستعمل أحيانا أخرى في تعليم معنى القرءان الكريم وتفسيره.[3]

كان الصحابة – رضوان الله عليهم – يتعلمون معاني القرآن كما يتعلمون ألفاظه ، ويقرؤون الناس معاني القرآن كما يقرؤونهم ألفاظه ، ومما يدل على ذلك ما أثر من بعض الزيادات في القراءات التي نسبت إلى بعض الصحابة – رضوان الله عليهم

---

[1] ينظر تطور مفهوم القراءة عند العرب، ، مقال.www.algamaa.info./v.b neureplyتاريخ الدخول 2009/06/07م.ص1.

[2] المرجع نفسه.ص2.

[3] ينظر تبدل معنى القراءة والإقراء في مصطلح المسلمين مقال ، www.usolaldin.orgص1.تاريخ الدخول 2008/12/18م.

– والتي اعتبرها العلماء تفسيرا وبيانا لمعاني القرآن ، ويمثل لذلك بقراءة عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – في زيادته لكلمة " مُتَتَابِعَات " وقراءة أبي بن كعب ، وغيرها من القراءات التي أثرت عن بعض الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم –

ومما يدل عليه أيضا أنه روي عن الصحابة – رضوان الله عليهم – أنهم يقتصرون في حفظ القرآن على بضع آيات حتى إذا تعلموا معانيها ورُزقوا العمل بما جاء فيها انتقلوا إلى آيات أخر، مما يؤكد حقيقة كون فعل القراءة عندهم آنذاك مرتبطاً بفهم معاني النص المقروء ، واتباع هديه والعمل به ، ولا يقتصر على حفظ الألفاظ والحروف .

ومن خلال هذا العرض نخلص إلى أن مفهوم القراءة سواء في اللغة ، أو الفكر الإسلامي لا يقتصر على الإدراك البصري للرموز ومعرفة قراءتها وحسب ، بل يتعداه إلى فهم المعنى ، ومعرفة الدلالات ، وإلى التزام ما فيه من العلم والعمل أحيانا .

المطلب الثاني : مكانة العلم في القرآن الكريم وعلاقته بالقراءة:

يحتل العلم مكانة عالية ومرموقة في الإسلام ، فطلبه فضيلة ، والتفرغ له عبادة ، والبحث عنه جهاد، وتعليمه قربة وهو مفتاح الإيمان ودليل العمل ، ونور الطريق ، وسبيل الجنة [1] .

والعلم هو ميزة من الميزات التي امتازت بها الأمة الإسلامية وشرفت به على خلاف غيرها من الأمم الأخرى ، والإنسان إن بحث في سائر الكتب السماوية السابقة قد لا يجد فيها ما يجد في القرآن الكريم من تعظيم العلم ، وإعلاء شأنه ومكانته ف " في كتب الأديان العقائدية الكبر ى إشارات صريحة إلى العقول المصونة ، لكنها تأتي عرضا ، وقد يلمح القارئ فيها أحيانا شيئا من الزراية بالعقل، أو التحذير منه لأنه مزلة العقائد ، وباب من أبواب الدعاوي والإنكار ، لكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في موضع التكريم والتعظيم ، ووجوب العمل به ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية ، بل تأتي في كل موضع مؤكدة جازمة لفظا ودلالة"[2] .

وحسب المرء في ذلك أن أول آية نزلت تدعو إلى القراءة وهي مفتاح العلم ، وثاني سورة نزلت استهلت بالقسم بالقلم والدواة وهما وسيلتان من وسائل العلم ، والقسم بالقلم تشريف له وفي شرف القلم تشريف للعلم .

---

[1] ينظر الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي ، د/يوسف القرضاوي. ط (د ت) ، (د ن) ، ص15 .

[2] المجموعة الكاملة ، الإسلاميات ، " التفكير فريضة إسلامية "، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، م5 .ص283 .

وما جاء في القرآن من دلالات تعكس لنا موقف الإسلام من العلم ، وكيف أنه حث عليه ، ونوه به ، ومن ذلك ما يأتي:

1/أن الله تعالى أمر نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – أن يدعو ربه طلبا في مزيد من العلم " قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه: ١١٤ .

2/أن الله تعالى رفع درجة صاحب العلم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ . . . يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١

3/أن الله تعالى جعل العلم سببا من أسباب زرع مخافة الله في النفوس قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ . . . إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطر: ٢٨

4/موازنة الله تعالى بين الذين يعلمون وبين الذين لا يعلمون ، مع تصريح القرآن بأنه لا مقارنة بينهم دنيا وآخرة ، ففي الدنيا هم أهل الحل والعقد ، وأصحاب الرأي والدعوة إلى الحق ، وفي الآخرة هم أصحاب الجنة والفوز بالنعيم المقيم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ . . . قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر: ٩ . ، بل إنهم في الآخرة شاهدون على أعمال غيرهم في الدنيا [1]، ومن ذلك ما جاء في قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الروم: ٥٦

5/أن القرآن أشار إلى أثر العلم في اختصار المسافات ، وتقريب البعيد ، ومن ذلك ما ورد في القرآن في قصة سيدنا سليمان مع عرش بلقيس في قوله تَعَالَىٰ:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ النمل: ٤٠ حيث استطاع الذي عنده علم من الكتاب أن يحضر العرش في لمحة بصر، وهو ما عجز عنه عفريت من الجن ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الإنسان بقوة العلم يستطيع أن يتفوق على قوة الجن بقوة ما أوتوا من قدرة.

[1] ينظر تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج6 ، ص144 .

6/أن القرآن جعل صاحب العلم متبوعا لا تابعا لكونه يهدي إلى طريق البر ، ومن ذلك ما جاء في القرآن على لسان إبراهيم في قوله تعالى:قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الفرقان: ٥٩ قال العلامة ابن كثير : " اسأل عَنْهُ من هو عالم به فاتبعه [1] "

8/أن العلم هو سبب في تفاضل المسلمين ، ومن ذلك ما جاء في القرآن على لسان داوود وسليمان – عليهما السلام – وشكرهما لله تعالى بتفضيله لهما بالعلم على سائر عباده . قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ النمل: ١٥

9/إن الأمثال والعبر في القرآن إنما تساق لأهل العلم لكونهم هم الذين يعقلونها ويتدبرون ما جاء فيها ، وهو ما صرح به القرآن في قوله تعالى﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٣

10/أن الله تعالى قرن شهادة أهل العلم بشهادته وشهادة الملائكة ، واستشهد بهم على أجل مشهود به وجعلهم حجة على من أنكر هذه الشهادة ،وجعلهم نواب الرسل وخلفاءهم في إقامة حجج الله على العباد[2]قال تعالـــــــى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ چ آل عمران: ١٨ .

إضافة إلى ما سبق ذكره فالله عز وجل أكثر من ذكر مقتضيات العلم في القرآن الكريم ومن ذلك كثرة ورود مشتقات العقل ، وذكر متعلقاته ، كذا وثنائه تعالى على المتفكرين وأولي الألباب ، وأولي النهى ، وبين أن الآيات إنما تساق للمتفكرين لأنهم هم الذين يعقلونها ، وينتفعون بها والتفكر بداية العلم . قال بعض علماء الاجتماع : " الفرق الحقيقي بين الإنسان المدني والوحشي هو التفكر . " و بالتفكر في آيات الله تعالى المنزلة يكون ارتقاء الناس في العلوم والأعمال من دينية ودنيوية[3] .

تميز القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية الأخرى بالدعوة إلى العلم والتفكر ، حيث قيل أن كلمة فكر ليس لها ورود في أكثر ما وصل إلينا من التراث الجاهلي شعره ونثره ؛ بينما امتلأ بها القرآن بل أنه أكثر ما كلف الناس به[4] .

---

[1] تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج 5، ص 19 .

[2] ينظر تفسير ابن القيم ، جمعه محمد الندوي ، حققه الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان _د .ط_ص199 .

[3] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج7 ،ص408/407 .

[4] ينظر كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ، ص142،141 .

يجعل القرآن الكريم بناء الإيمان على دراسات كونية ، ودراسات إيمانية نفسية بخلاف الكتب السماوية السابقة التي تجعل الرسل- عليهم السلام - الطريق الوحيد للإيمان بالله تعالى ، أما تكليفهم بأن يرتبوا نتائج على مقدمات بفكرهم ، فهذا من خصوصيات القرآن ، ولذا مع التقدم العلمي الجديد الذي صدق وصف القرآن للكون يجيء التلاقي بين العلم والإيمان.[1] فيكون العلم بذلك خادما للإيمان.

وقد ورد في السنة أحاديث كثيرة تحث على طلب العلم ، وتدعو إليه ، لم تتم الإشارة إليها طلبا للاختصار.

وهذا ما يؤكد أهمية العلم ومن ذلك أهمية القراءة في واقع الإسلام .

أما عن علاقة العلم بالقراءة ، فالقراءة هي أساس العلم ، والعلم أول ما انطلق مفهومه أساسا عند المسلمين ارتبط بمفهوم القراءة ؛ إذ أن العرب لم يكن لهم كتاب يقرؤون فيه كسائر الأمم كأهل الكتاب مثلا ، ثم أصبحت قراءة القرآن منطلقهم الوحيد نحو العلم والمعرفة ، والقرآن الكريم أول ما دعا إلى العلم عبر عنه بفعل القراءة ، وكان أول ما نزل به القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ العلق: ١ ثم أرفه بذكر لفظ العلم فقال تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ العلق: ٤ – ٥ . ولولا وجود فعل القراءة واستمراره لما انتقل العلم بين الأجيال ، ولما شهدت الأمة الإسلامية هذه المكتبات ، ولولا وجود فعل القراءة أيضا ، لما تمكن البشر من تبليغ العلم ، وكل من لا يقرأ لا يمكنه أن يكتسب قدرا من العلم ، فكان استمرار العلم بذلك مرهونا باستمرار فعل القراءة .

---

[1] ينظر المرجع نفسه من الصفحة نفسها .

المطلب الثالث : العلاقة بين القراءة والكتابة في القرآن الكريم :

إن نزول أول آية من القرآن الكريم تدعو إلى القراءة ، واقتران ذلك بذكر القلم ، وإن نزول سورة كاملة بعد ذلك تسمى سورة القلم ، واستهلالها بقسم الله بالقلم وما يكون منه من كتابة ، يدعو الباحثة للبحث عن أهمية الكتابة ، و العلاقة بينها وبين القراءة في القرآن الكريم.

جعل المولى عز وجل القلم وسيلة من وسائل اكتساب العلوم والمعارف ؛ فبه تدون المعارف والعلوم المكتسبة عن طريق الإدراك الحسي ، أو الاستنتاج العقلي بالتأمل الفكري ؛ حتى يستفيد القارئون مما سبق تدوينه ، ويستذكر بالقراءة من سبقت لهم معرفته ، فذاكرة الإنسان قد تنسى ما قد منح لها من المعلومات ، في حين أن الكتابة تحل أو تتجاوز مشكلة النسيان [1] .

وقد علم الله تعالى الإنسان بالقلم بحصول أمرين اثنين :

1/ بخلق الناس مستعدين لاكتساب وابتكار صحة الكتابة والقراءة ، وإلهامهم أن يضعوا الرموز الخطية والكلمات .

2/ بالوحي إلى بعض أنبيائه بأن يكتب ويقرأ ، و أن يعلم قومه أصول الكتابة [2] .

أقسم الله به لما فيه من البيان كاللسان ، وهو واقع على كل قلم يكتب به من في السماء والأرض ، أقسم به تعظيما لشأنه وتوجيه الناس إليه ، في وسط هذه الأمة التي كانت الكتابة فيها قليلة ونادرة ، في حين أن دورها كان يتطلب نمو هذه القدرة وانتشارها فيها لتكون وسيلة لنقل العقيدة وما يقوم بها من مناهج الحياة إلى أرجاء الأرض ، فتعمل على قيادة البشرية ، وتنهض بها قيادة راشدة ، فكانت الكتابة من ذاك عنصرا أساسا في النهوض بالأمة الإسلامية ، وجعلها في مصاف الأمم[3] .

قال قتادة في أهمية القلم :" القلمُ نعمة من نعم الله تعالى على عباده [4] . "

---

[1] ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم دمشق ، ط(1420ه-2000م) ص49.

[2] .ينظر المرجع نفسه ،ص50.

[3] ينظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ،دار الشروق ، ط(1412ه، 1992م)، ج6 ، ص3655.

[4] الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، دار ابن حزم ،الطبعة الأولى (2004،1465) .ج3 ، ص22.

وقال حبنكة الميداني : "إن وارد المعرفة غيث والقلم ميزاب هذا الغيث والقرطاس هو الوعاء الذي تجمع به غيث ربك من المعارف ، وبه يستقر العلم ، وينفح ويضيف "[1].

من هنا تتجلى حقيقة تعليم الله سبحانه وتعالى للإنسان بالقلم ، لأن القلم كان ، وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثرا في الحياة الإنسانية ، وإن لم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح المعروف الآن في حياة البشرية ، ولكن الله تعالى كان عالما بقيمة القلم ، خبيرا بهذه الإشارة في كل لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية في أول سورة من سور القرآن الكريم ، هذا مع كون الرسول الذي أتى به لم يكن كاتبا بالقلم على الأرجح ، وما كان ليبرز هذه الحقيقة من هذه اللحظة الأولى لو كان القرآن من عنده[2] .

وتظهر علاقة الكتابة بالقراءة في أن القراءة وعي فردي و بناء للداخل وتنوير للوجدان والعقل ، تعمل على تحويل الإنسان من العبثية اللاهية الضائعة إلى مسار الفردية التي تحس بوجودها الحي الفاعل ، وأن الكتابة توثيق و نشر لهذا الوعي ، وتجسيد للمسؤولية البالغة من القراءة ، فهي تعمل على تحويل القراءة إلى حضور دائم لا يبارح التاريخ ، وهي ليست ظلا للقـراءة ، وإنما صون لها تمنحها نعمة الإيضاحات المتتالية ، وتحولها إلى مسيرة مثمرة ومتراكمة [3]. "موقف الكتابة ليس عنصرا حياديا عن القراءة وهي تمارس دورها الخلاق في سبيل القراءة"[4].

وعلاقة الكتابة بالقراءة حقيقة حددها التاريخ وأقرها ، يظهر هذا من أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – أصحابه بكتابة الوحي ليتم حفظه وتكون قراءة ذلك من المكتوب ، وقد تفطن الصحابة بعده لأهمية الكتابة فكتبوا المصحف ، وجاء العلماء من بعدهم فدونوا لنا علوما ومعارف شتى ، ولولا الكتابة لما كان بالإمكان أن يصل إلينا كل هذا العلم ، وغير بعيد عن هذا فالبحوث العلمية وغيرها لم تكن لتؤدي دورها لولا وجود فعل الكتابة ، و" لا قراءة بغير كتابة وإلا كانت خيانة للعقل ،

---

[1] معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص49.

[2] في ظلال القرآن ، سيد قطب ج6 ، ص3939. باختصار .

[3] ينظر قضايا إسلامية معاصرة "مداخل جديدة للتفسير" ، غالب حسن ، دار الهادي للطباعة والنشر ، ط1(1424ه-2003م) ،ص220.

[4] المرجع نفسه ، نفس الصفحة. المقصود بها أن الكتابة ساعدت على نقل العلوم حتى يتمكن من قراءتها ، وإلا فالكثير من العلوم نقلت إلينا حفظا من غير وجود عامل الكتابة ، والكثير من العلماء كانوا يجيدون الحفظ ،ولا يجيدون الكتابة.

وتجاوزا للكون ، وتعاطيا مبتذلا لشهادة الحياة ، ودلالات التاريخ "[1] . وقد ورد في القرآن الكريم دلالات أخرى تبين حقيقة العلاقة بين القراءة والكتابة ،وهي :

1) أن القرآن سمي قرآنا نسبة للقراءة ، وسمي كتابا نسبة إلى ما يكتب أو المكتوب .

2) أن القرآن ذكر أن مشركي مكة طالبوا النبي – صلى الله عليه وسلم – بأن يأتيهم بكتاب يقرؤوه مقابل الإيمان به والتصديق برسالته ، فكانت الكتابة من ذلك عاملا أساسا في إثبات الحجة والدليل . قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا ﴿٩٣﴾ ﴾ الإسراء 93.

روي عن مجاهد : " بمعنى مكتوب فيه إلى كل واحد صحيفة لفلان ابن فلان تصبح موضوعة عند رأسه"[2].يعني أن مشركي مكة طالبوا بوجود شيء مكتوب حتى يصدقوا النبي – صلى الله عليه وسلم – ويؤمنوا بما جاء به.

3) أن القرآن أشار إلى أهمية التوثيق مع أن الله – عز وجل – لا ينسى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ يس: ١٢

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾.الزخرف 19.

4) أن القرآن أشار إلى أن الأعمال تكتب في الدنيا ، وتقرأ في الآخرة ، ويتبين ذلك من خلال الآيات الآتية :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ الإسراء 14 .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾ الإسراء 71

روي عن ابن عباس بمعنى : يوم ندعوا كل أناسٍ بكتاب أعمالِهم ، وقد رجح هذا القول الإمام ابن كثير في تفسيره [3]

---

[1] المرجع السابق ،الصفحة نفسها .

[2] تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين بن كثير ، ج5، ص74 .

[3] ينظر المصدر السابق ، ج5 ، ص 60.

قَالَ تَعَالَى:﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ ﴾ الحاقة: ١٩ تتحدث هذه الآية عن قراءة كتاب العمال يوم يفرح المؤمن بما أوتي من أعمال .

تبين من خلال ما سبق ذكره في العلاقة بين القراءة والكتابة : أن الكتابة عاملا أساساً في وجود فعل القراءة ، وإن الكتابة ليست فقط لتجاوز النسيان ، وإنما هي أصل قائم بذاته ينقل المعرفة من جيل إلى آخر ، ولولا الكتابة والقراءة ما انتقل العلم عبر القرون المتطاولة .

[11] ينظر الموافقات ، الشاطبي ، ج 4 ، ص379 .الهامش 1 .

المبحث الثاني : العلاقة بين الدعوة إلى القراءة وألفاظ الأمي والأمية في القرآن :

المطلب الأول : مفهوم الأمية في اللغة والقرآن الكريم.

إن البحث عن معنى الأمية وإدراك حقيقتها سواء كان في اللغة أو في القرآن أو السنة يستدعي أساسا أن يحيط الباحث بالمعنى الحقيقي لكلمة قراءة ؛ ذلك لأن القراءة هي أصل العلم والمعرفة ، وأن العلم أول ما انطلق مفهومه أساسا عند المسلمين ارتبط بمفهوم القراءة ، فالعرب من قبل القرآن الكريم لم يكن لهم كتاب يقرءون فيه على غرار الأمم الأخرى كأهل الكتاب مثلا ، إلا ما كان من بعض الرجال الذين كانت لهم دراية بكتب التوراة والإنجيل ، ثم أصبح القرآن منطلقهم الوحيد إلى العلم والمعرفة أو القراءة والكتابة ، ومن جهة أخرى فإن عدم معرفة القراءة والكتابة أصبح هو المعنى المتعارف عليه للفظ الأمية في الأوساط البشرية ، فكل من لا يعرف القراءة والكتابة فهو أمي[1] .

ولتحـــديد هذا المعنى وبيان حقيقـــــته يستدعي من البـــــاحثة الوقوف عند مفهومه في الاستعمالات اللغوية والقرآنية :

1-الاستعمالات اللغوية :

وردت ألفاظ الأمية في قواميس اللغة العربية بمعاني متعددة ، فقد وردت بمعنى الذي لا يعرف القراءة والكتابة ، قال ابن منظور: " الأُمِيُ الذي لا يَكتُبُ "[2] .ووردت بمعنى المنسوب للأم قال الزجاج : " الأُمِيُ الذي على خِلْقَةِ أُمِهِ لم يتعلم الكتابَ ،فهو على جبلته نسب على ما ولد ، أي على ما ولدته أمه من عدم الكتابة "[3].

وذهب البعض إلى أنه منسوب إلى الأُمَة ، وهم عموم الناس ، فهي مرادفة لكلمة عَامِي ، قال الزبيدي : " الأُمِي من لا يكتبُ ، أومن على خِلْقَةِ الأمة ، لم يتعلم الكتاب فهو بَاقٍ على جبِلَتِهِ"[4] .

ينظر نحو منهجية معرفية قرآنية د/طه جابر العلواني ، محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة ، دار الهادي ، ط1(1425ه-2003م)،ص 115 . .

[2] لسان العرب ، ابن منظور ، دار بيروت ، ط(د،ط)م12، مادة أمم ، ص34.

[3] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[4] تاج العروس ، السيد محمد مرتضى ، دار صادر بيروت ، ط(د، ط)،م8(ل،م) ، مادة أمم ، ص191.

يتبين من ذلك أن الأُمِيَة في لغة في لغة العرب ترجع إلى عدم القراءة والكتابة ، أو نسبة إلى عموم الناس لقلة معرفتهم بالقراءة والكتابة ، أو إلى الأُم لأن الغالب في النساء الجهل بالقراءة والكتابة .

2- في القرآن الكريم :

ورد لفظ الأمي والأمية في القرآن الكريم في ستة مواضع بمعاني مختلفة:

ومما ورد من معانيها مايلي:

عدم فهم حقيقة الأمور:

ذهب بعض المفسرين أن معنى الأمية تعني عدم حقيقة الأمور في تفسير قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ البقرة: ٧٨

قال شيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله – فيما روي عن ابن عباس وقتادة :"ومنهم أُمِيُون " أي غير عارفين بمعاني الكتاب ؛ يعلمونها حفظاً وقراءةً بلا فهم لا يدرون ما فيها وقوله " إلا أَمَانِي " إلا تلاوة ، لا يعلمون فقه الكتاب إنما يقتصرون على ما يُتلَى عليهِم" [1]

هؤلاء لا حظ لهم من الكتاب إلا قراءة ألفاظه من غير فهم لمعانيه ، ولا اعتبار يظهر أثره ، كما وصفهم القرآن في قوله تَعَالَىٰ:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾الجمعة 5 .

يتحدث سياق الآية عن أهل الكتاب الذين لا يتدبرون التوراة ولا يفهمون ما فيها ، والأمية العقلية هذه تسود الأمة في حالة التقليد والغياب الحضاري ، والعجز عن تدبر القرآن والتعامل مع الأحداث والمواقف ، واكتشاف سنن الله في الأنفس والآفاق ، وحسن تسخيرها ، ومعرفة كيفية التعامل معها والانتقال من منطوق النص وظاهره إلى مقصده وفحواه ، والتعامل مع السنن والعلم بأنها تتكرر ولا تتبدل ، فيستطيع الإنسان توجيهها إلى حيث يريد [2] .

---

[1] مجموع الفتاوى ، أحمد عبد الحليم ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن محمد قاسم ، المكتب التعليمي السعودي بالمغرب ، مكتبة المعارف الرباط المغرب، ط(د،ت)، ج25 ، ص170 .

[2] ينظر مقدمة عمر عبيد حسنة في كتاب كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ، دار الرجاء عنابة ، ط(د،ت)، ص14 .

و إذا كان سياق هذه الآية حديثا عن أهل الكتاب وكيفية تعاملهم مع كتابهم ، فهو حال المسلمين اليوم في التعامل مع القرآن الكريم ، قال الشيخ رشيد رضا في المنار : قال الإمام : " هذه الأماني توجد في كل الأمم في حال الضعف والانحطاط يفتخرون بما بين أيديهم من الشريعة وسبلهم التي كانوا مهتدين بها، وبما لهم من الآثار التي كانت ثمرة الهداية ، وتسول لهم الأماني أن ذلك كان كاف في نجاتهم وسعادتهم ، وفضلهم على سائر الأمم ،هكذا كان اليهود في زمن التنزيل وقد اتبعنا سننهم وتلونا تلوهم ،فظهر فينا تأويل الحديث الصحيح : "**لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر ذراعا بذراع لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم ،قيل :أهم اليهود والنصارى يا رسول الله قال : فمن** [1] ؟ "وإننا لنقرأ أخبارهم فنسخر منهم ولا نسخر من أنفسنا ، ونعجب لهم كيف رضوا بالأماني ونحن غارقون فيها"[2].

وهذا المعنى يصرف معنى الأمية إلى أنها الغفلة والجهالة ، وقلة المعرفة .

وقال العلامة بن عاشور : " وقد قيل (الأَمَانِي) القراءة أي لا يعلمون الكتاب إلا كلمات يحفظونها ويدرسونها ، لا يفقهون منها معنىً ، كما هو عادة الأمم الضالة إذ تقتصر الكتب على الردِ دون فهمٍ"[3]

واختار ابن عاشور أن كلمة الأماني بمعنى الأُمْنِيَات

وقيل الأَمَانِي بمعنى الأكاذيب والظنون بمعنى أنهم يقولون بأفواههم كذبا ، وبذلك فسر العلامة بن كثير كلمة الأُمِيينَ في هذه الآية بأنهم قوم لم يصدقوا رسولاً أرسل إليهم ولا كتاباً أنزله إليهم فكتبوا كتاباً بأيديهم ثم قالوا لقوم جهلة هذا من عند الله.[4].

والمتتبع لسياق هذه الآية يدرك بأن الأماني تعني الأكاذيب والظنون ، وهو ما تفسره الآية التي بعدها ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ

---

[1] رواه البخاري عن أبي هريرة ، ينظر صحيح البخاري ،محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، المكتبة الثقافية ،بيروت ط(د،ت)،كتاب الاعتصام "باب قول النبي لتتبعن سنن من قبلكم "ج9،ص184.

[2] تفسير المنار ، رشيد رضا ،ج(1)ص.338..

[3] ينظر التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية ،ج1 ، ص

[4] ينظر تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، طبعة متضمنة تحقيق ناصر الدين الألباني ، خرج أحاديثه محمود بن جميل ،وليد بن سلامة خالد محمد بن عثمان ، ، مكتبة الصفا ، ط1(1425ه-2004م)،ج(1) .ص143.

وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾البقرة: ٧٩ . فهم يكتبون الكتاب وينسبونه إلى الله كذبا وزورا فيكون بهذا المعنى أقرب – والله أعلم– .

هذا بالنسبة للفظ الأمية الوارد في هذه الآية .

وقد ورد لفظ الأمية أيضا في الآيات التالية :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ آل عمران20.

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٧

وهو قول الشيخ رشيد رضا في المنار حيث قال في تفسير هذه الآية : " أن المقصود و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٨

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة: ٢

اختلفت آراء المفسرين في معنى الأمية في هذه الآيات ، فذهب البعض إلى ما ذهب إليه اللغويون من أنها تعني الجهل بالقراءة والكتابة ، وذهب البعض بأنها تعني العرب الذين لا كتاب لهم ، فكانت آراؤهم كالآتي :

القول الأول : الأمية تعني عدم القراءة والكتابة

روى هذا المعنى الإمام القرطبي عن جماعة ، وروي كذلك عن منصور بن إبراهيم بأنه الذي لا يقرأ ولا يكتب[1] ، وذهب إلى هذا القول أيضا العلامة الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير حيث قال : " الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة [2] "

---

[1] ينظر الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار ابن حزم ، ط1(1465ه–2004م)،ج4،ص3063.

[2] التحرير والتنوير ، ج8 ، ص3134.

في تفسير معنى " النبي الأمي "في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٧، وذهب إليه الشيخ الشعراوي في تفسيره[1]

اعتمد أصحاب القول الأول على ما ذهب إليه اللغويون في معنى الأمية من أنها تعني عدم القراءة والكتابة، أو أنه سمي بذلك نسبة إلى أمه ،لأن النساء كن لا يعرفن القراءة والكتابة ، أو إلى عموم البشر، أو نسبة إلى أم القرى.[2]

القول الثاني : الأمية تعني الذين لا كتاب لهم وهم العرب (الخارج عن دائرة أهل الكتاب) :

ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن كلمة الأمية في القرآن تعني الذين هم ليسوا من أهل الكتاب وهم العرب، وإليه ذهب الإمام القرطبي[3] في تفسير قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة: ٢ "

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ ﴾ آل عمران20. " الأميون الذين لا كتاب لهم ، وهم مشركوا العرب[4] " ، وهو ما ذهب إليه ابن كثير[5] في تفسير قوله تعالى :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ آل عمران: ٧٥ ، وإليه ذهب الشيخ رشيد رضا في المنار حيث قال : " أن المقصود بذلك أن أهل الكتاب زعموا بأنهم لا ذنب عليهم ولا تبعة في خيانة المخالف أو احتقاره احتقارا يهضم به حقه في المعاملة ، فكأنهم يقولون إن كان من ليس من شعب الله الخاص ، وليس من أهل دينه فهو ساقط من نظر الله ، ومبغوض عنده ، فلا حقوق له ولا حرمة لماله ،فرد الله زعمهم بقوله : "[6]﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

---

[1] ينظر تفسير الشعراوي ، (د،ن)،ط(د،ت)ج7،ص4381.

[2] ينظر التحرير والتنوير ، ج8 ، ص3134.

[3] ينظر الجامع لأحكام القرآن ، لقرطبي ، ج4 ، ص3063.

[4] المصدر نفسه ، دار الكتاب العربي ، ط2(د،ت)،م 2،ج4 ، ص45

[5] ينظر تفسير ابن كثير ، ج 1، ص37.

[6] ينظر تفسير المنار ،محمد رشيد رضا ، دار المنارالقاهرة،ط(د،ت) ،ج3 ، ص339.

آل عمران: ٧٥ ، و أهل الكتاب في هذه الآية يقولون بأن لا حرج عليهم في غش الأميين ، وهم العرب ؛ ذلك لأنهم لا تلزمهم شريعتهم ماداموا خارجين عن دائرتهم[1].

ونقل الإمام القرطبي عن ابن عباس قوله : " الأميون هم العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لأنهم لم يكونوا أهل كتاب"[2]، وقال الشيخ محمد الغزالي: " ويخيل إلي أن المقصود بالنبي الأمي الذي خرج عن الدائرة التي كان يؤخذ منها الأنبياء وهي بني إسرائيل وإن كان هناك أنبياء عرب "[3].

أي سمي بذلك لأنه خارج عن دائرة أهل الكتاب مع وجود أنبياء عرب غيره ، لكنهم لم يوصفوا بوصف الأمية . لكن هؤلاء الأنبياء وإن كانوا من العرب فلم يتركوا كتابا بعدهم.

وروي هذا المعنى أيضا عن الإمام الطبري في مناسبة نزول قوله تعالى :﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ الروم: ١ – ٥ حيث نقل عن عكرمة أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض قالوا وأدنى الأرض يومئذ أذرعات بها التقوا فهزمت الروم ، فبلغ ذلك النبي وأصحابه ، فشق ذلك عليهم ، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يكره أن يظهره الأميون من المجوس على أهل الكتاب والنصارى من الروم ، ففرح الكفار بمكة إطلاقه ، فلقوا أصحاب النبي– صلى الله عليه وسلم – فقالوا : إنكم أهل الكتاب والنصارى أهل كتاب ، ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله بِسۡمِ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ ﴾ الروم: ١ – ٢

يتبين مما سيق في مناسبة نزول الآية أن لفظ الأمي كان يطلق على الذين لا كتاب لهم لأن في النص وصف المجوس بالأميين وهم لا كتاب لهم ، والكفار وصفوا أنفسهم بالأميين وعللوها بأنهم لا كتاب لهم.

---

[1] ينظر تفسير القرآن العظيم ، ج2 ، ص37.

[2] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، م2،ج4ص3063.

[3] كيف تعامل مع القرآن ، الغزالي ، ص198.

[4] ينظر جامع التأويل والبيان عن تفسير آي القرآن المسمى تفسير الإمام الطبري ، أبو جعفر الطبري ، دار الفكر بيروت لبنان ، ط(1425ه–1984م)،ص(17–18).

وبعد استخلاص أقوال المفسرين في معنى الأمية ومشتقاتها في القرآن الكريم يمكن القول بأن لفظ يحتمل المعنيين معا ، فهي عامة في الذين لا كتاب لهم خاصة في العرب ؛ وصفوا بوصف الأمية لأنهم لا كتاب لهم حينها ولأن الكتابة والقراءة كانت عزيزة ونادرة في أوساطهم.

والحديث في هذه الأمر يفضي بالباحثة إلى أن تبحث في قصة مناسبة بدء نزول الوحي :

الشائع في قوله – صلى الله عليه وسلم – عندما ما أتاه الوحي ما أنا بقارئ أي لا أعرف القراءة ليقرأها . وذكر الإمام البخاري في ذلك أن جبريل كان يأتي النبي – صلى الله عليه وسلم – بالوحي مكتوبا في ديباجة . ذكر الإمام ابن حجر في الفتح في معرض حديثه عن قوله تعالى : "اقرأ" أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال أتاني جبريل بنمط من ديباج فيه كتاب قال : اقرأ قلت ما أنا بقارئ أي أنا لا أعرف القراءة لما هو مكتوب إذ لم أتعلمها [1] وقال حبنكة : لو كان المراد تلاوة ما يمليه عليه جبريل من قول لكان المناسب الرسول له ما ذا أقرأ ؟لا أن يقول له ما أنا بقارئ[2] .

لكن هذا معارض بما يفهم من بعض الآيات وسبب نزولها، بأن الوحي كان يتلقاه مشافهة ، منها :قوله تعالى :"﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ القيامة: ١٦

وقوله تعالى ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾ الأعلى: ٦

روى الإمام السيوطي في سبب نزول هاتين الآيتين أن النبي – صلى الله عليه وسلم– عندما ينزل عليه الوحي يحرك لسانه يريد أن يحفظه ، فأنزل الله تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ القيامة: ١٦ "وأن النبي– صلى الله عليه وسلم– كان إذا أتاه جبريل بالوحي لم يفرغ منه حتى يتكلم النبي– صلى الله عليه وسلم – به مخافة أن ينساه.[3]

ومن ذلك أيضا أن النبي– صلى الله عليه وسلم – كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه يتخوف أن يصعد جبريل ولم يحفظه فأنزل الله تعالى :﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه: ١١٤

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، المكتبة التوفيقية القاهرة مصر ، باب "قوله ما أنا بقارئ "ج(8)ص758 .

[2] معارج التفكر ودقائق التدبر ، محمد عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق ، ط (1425ه–2004م)، ص38 .

[3] ينظر لباب النقول في أسباب النزول ، جلال الدين السيوطي ، دار ابن الهيثم ط1(1426ه–2005م)،ص208.

أخرج الإمام البخاري عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية :" كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا نزل عليه الوحي يحرك به لسانه ، يريد أن يحفظه فأنزل الله﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ القيامة: ١٦[1].

– إن ما ذكر في سبب نزول هاتين الآيتين من استعجال النبي – صلى الله عليه وسلم – في حفظه القرآن الكريم وتلقيه من جبريل – عليه السلام – يدل على أنه كان يتلقى الوحي مشافهة . ولم يتلقاه مكتوبا .وأن معنى ما أنا بقارئ لا يدل على أنه لا يعرف القراءة ؛ إذ أن جبريل – عليه السلام – لم يقدم له شيئا مكتوبا يقرأه.

المطلب الثاني : أمية الأمة وأمية الشريعة.

تحدث الإمام الشاطبي عن قضية أمية الأمة وأمية الشريعة في الموافقات حيث قال : " إن الشريعة موضوعة على وصف الأمية لأن أهلها كذلك ، فلا بد أن يكون على ما يعهدون ، والعرب لم تعهد إلا ما وصفها به الله من الأمية ، فالشريعة إذا أمية . . . .وإذا ثبت هذا وصح أن الشريعة أمية لم تخرج عما ألفته العرب [2]

وتحدث عن المسألة أيضا الإمام ابن تيمية حيث يقول في الحديث : " هو خبر تضمن نهيا، فإنه أخبر أن هذه الأمة التي اتبعته من الأمة الوسط أمية لا تكتب ولا تحسب ، فمن كتب أو حسب ، لم يكن من هذه الأمة في هذا الحكم ، بل يكون قد اتبع غير سبيل المؤمنين الذين هم هذه الأمة ، فيكون قد فعل ما ليس من دينها، والخروج عنها محرم ، منهي عنه ، فيكون الكتاب والحساب المذكوران محرمين منهيا عنهما . . ."[3].

وأصل المسألة الحديث الذي رواه الإمام البخاري قوله – صلى الله عليه وسلم – : " **إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب الشهر هكذا وهكذا** "[4] ،ومربط الفرس في ذلك هو تحديد معنى الأمية التي ذكرها النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث .

---

[1] ينظر صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : " فإذا قرأناه فاتبع قرآنه".

[2] ينظر الموافقات في أصول الشريعة ، الإمام أبو إسحاق الشاطبي ، اعتنى بالطبعة وخرج أحاديثها : الشيخ إبراهيم رمضان ، مقابلة عن الطبعة التي شرحها الشيخ عبد الله دراز ، دار المعرفة بيروت لبنان ، ط6(1425–24–004م) ج2 ، ص 380.

[3] مجموع الفتاوى ، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم ، مكتبة المعارف ، الرباط،المغرب،م25 ، كتاب الصوم ص165.

[4] رواه البخاري،في كتاب الصوم13، ومسلم في كتاب الصيام ،15.

ولتوضيح المسألة يقتضي الأمر أن تتعامل الباحثة مع متن الحديث ، وسبب وروده ، وما يحيط به من مناسبة.وموقف العلماء من المسألة .

عقب الإمام الطاهر بن عاشور على قول الإمام الشاطبي حيث قال : " إن هذه المقولة واهية لوجوه ستة:

1/إن ما بناه عليه يقتضي أن القرآن لم يقصد انتقال العرب من حال إلى حال وهذا باطل، يقول سبحانه وتعالى ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ هود: ٤٩

فهدا تصريح بأن القرآن يحوي الكثير من الحقائق التي يجهلها قومه من قبيل أنباء الغيب والمعجزات.

2/إن مقاصد القرآن مبنية على عموم الدعوة وهي معجزة باقية ، فلا بد أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناوله أفهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة .

3/ ان السلف قالوا : إن القرآن لا تنقضي عجائبه ، يعنون معانيه ، ولو كان كما قال الشاطبي لانقضت عجائبه بانحصار معانيه

4/ إن من تمام إعجازه أن يتضمن من المعاني مع إيجاز لفظه ما لم تف به الأسفار المتكاثرة .

5/إن مقدار أوهام المخاطبين به ابتداء لا تقتضي إلا أن يكون المعنى الأصلي مفهوما لديهم ، فأما ما زاد عن المعاني الأساسية فقد تهيأ لفهمه أقوام وتحجب عنه أقوام [1] .

ثم يأتي الشيخ الغزالي على إثر هذه القضية ويناقش ما ذهب إليه الإمام الشاطبي فيقول : "هناك قضية هامة وردت فيما سبق وهي قضية أمية الأمة ، وأمية الشريعة التي أتى الشاطبي على ذكرها ، وهي قضية خطيرة إذا أخذت على إطلاقها تؤدي إلى محاصرة العقل فهل يعقل أن تكون هذه الأمية خالدة أم أنها مؤقتة كان العرب عليها ثم انتهت وأصبحت الأمة تكتب وتحسب ؟ وأرى أن الأمة في مرحلة من حياتها ، وقد تكون أمية لا تقرأ ولا تكتب ولا تحسب ثم يتغير حالها إلى مرحلة أخرى ، فتصبح أمة عالمة قارئة . فهل يمكن أن تبقى الأمة متوقفة على الوسائل الأمية في النظر والحكم والعلم ؟

الأمة اليوم أصبحت تقرأ وتحسب . . .فالتقرير على أن الأمية صفة قسرية أو ملازمة للأمة ، وأن الأحكام يجب أن تبقى مناسبة لمرحلة الأمية أظن أنه أمر يتعارض مع طبيعة الحياة وسيرورتها . . .كما يتعارض مع خلود الرسالة ، وقدرتها على

---

[1] ينظر مقدمة التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور .ج(1)ص16 .

الاستجابة لدواعي العصر .وأمر الإصرار من بعض العلماء على الأمية عجيب وهو ما أدى إلى التعسف والتوقف عند بعض المفهومات وعدم تجاوزوها ...إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب ، لكن هل هذا يعني دائما أن تبقى أمية لا تكتب ولا تحسب؟وهل هذا يعني أن نبقى بعيدين عن الكسب العلمي وكانت أول آية نزلت تفرض التعلم ، والتحول إلى القراءة والكتابة[1] ؟

ثم يطرح الشيخ الغزالي أسئلة بصددها إذ يقول : بعد نزول القرآن هل تبقى الأمة أمية ؟ لقد كانت أمة أمية ثم جاء هذا العلم المزدوج المضاعف الكثير في كتاب الله فكيف تبقى أمية بعده ؟ .هذا مستحيل ...

هل كلمة أمية التي وردت في الحديث نسبة إلى الجهل أو الأمة ؟

فاليهود يرون أن المقصود بالنبي الأمي الذي خرج بعيدا عن الدائرة التي كان يخرج منها الأنبياء وهي بني إسرائيل، وإن كان هناك أنبياء عرب .[2].

ثم يقول الشيخ الغزالي :"والمعروف أن القرآن علم ، بل هو العلم ، والتعبير على أنه العلم موجود في كثير من آيات كثيرة ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ البقرة: ١٢٠

فالعلم هو صفة القرآن ،وصفة المنشغلين به فكيف يقال أن الأمة أمية مع القرآن؟هذا مستحيل ،والقرآن نفسه وجه لاقتحام أسوار الحياة والتغلغل في أسوارها ومجال العلم الإلهي فيها والحكمة الإلهية فيها فهل يقال أن الرسالة أمية ؟

بعد هذا وجه الشيخ الغزالي ما ذهب إليه الإمام الشاطبي إذ قال : " ألا يمكن أن يكون هناك أفق آخر للقضية ، وهو أن التكاليف والعبادات وما إلى ذلك يمكن أن يتكون لها صفة العموم وتشمل الناس جميعا بمختلف مستوياتهم الفكرية والعلمية والرسالة متيسرة لكل بحسب كسبه ، كأني ألمح من بعض الوجوه أن التعاليم الإسلامية كالأمر بالصلاة والصوم لا تستدعي سوية معينة من الكسب العلمي حتى يستطيع الإنسان أن يدركها ، وإلا كيف يمكن أن يخرج ذلك من الأمة الأمية ؟ بعدها عقب الشيخ الغزالي على ما ذهب إليه الإمام الشاطبي قائلا : " إن العرب إذا كانوا في ذلك العصر أمة أمية فالأمية لا يمكن

---

[1] كيف نتعامل مع القرآن الغزالي ، ص198.

[2] المرجع نفسه ، الصفحة. نفسها

استمرارها . . . هذا شيء، والشيء الآخر أن الخطاب ليس للعرب ولكنه للناس جميعا المتعلم وغيره كما أنه ليس لزمان واحد فقط .

كان العرب أمة أمية ، وكان الفرس والرومان هم المثقفون . .وعندما أنظر إلى الفرس والروم أجد أنه كانت لديهم جهالات ربما لم تكن موجودة عند العرب وربما كان العرب أحسن أخلاقا من الروم والفرس في جاهليتهم تلك " الله أعلم حيث يجعل رسالته "[1] ففكرة أمية الأمة وأمية الشريعة والإصرار على بقاء المرحلة البدوية واستمرارها مرفوض ، فأمة تستقبل القرآن لا بد أن تكون أميتها قد زالت بهذا القرآن نفسه . . .فإذا كان القرآن يدل على مصادر معرفة في أساس المنطق الحديث وأساس حضارة أوروبا فكيف تكون الأمة أمية هذا الأمر مستبعد .

القرآن لم ينزل للعرب وحدهم ولم ينزل لفترة معينة ، وإنما هو خالد عبر الزمن . . .فكيف يمكن أن ينفع أصحاب الكسب العلمي والمعارف العلمية في المستقبل" .[2] .

لهذا وجه الشيخ الغزالي كلام الإمام الشاطبي بأنه يقصد بقوله هذا أنه كان يكابر ناسا من جماعة الإعجاز العلمي الذين يحبون إدخال كل شيء في القرآن[3].

والغريب في الأمر إني عندما تتبعت المسألة في بعض المواقع الإلكترونية وجدت ممن ينتقد كلام الإمام الشاطبي ، وكلام الإمام ابن تيمية ، ويرد عليهما بالشرح ، والنقد ،والتعقيب ، حتى إني وجدت بعض المقالات تنسب إلى الإمام ابن تيمية تحريم الكتابة والحساب عن الأمة الإسلامية ، وتوجه كلامه إلى غير ما قصد له ؛ وذلك لأنهم بتروا كلام الإمام ، ووقفوا عند أوله ، وغفلوا عن آخره ، وغفلوا عن مناسبة ورود الحديث .

مناقشة وتوجيه :

– إن أمة ابتدأت بأمر القراءة لا يمكن أن يكون فيها شيء من التحذير من الكتابة والحساب ، فهما عاملان أساسان في العلم .

---

[1] المرجع السابق من الصفحة نفسها .

[2] المرجع نفسه ، من الصفحة نفسها .

[3] ينظر المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

– إن القرآن نبه إلى النظر في الكون ، وتأمل أسراره وعجائبه ، وحث عليه في كثير من الآيات وجعل قراءته بمنزلة قراءة القرآن ، ومن آليات قراءة الكون العلم التجريبي ، والكشوف العلمية .

– إن ما فهم من كلام الإمام ابن تيمية والإمام الشاطبي لا يصلح من هذا الوجه ؛ إذ لو كانا يقصدان نفي الحساب والكتابة من هذه الأمة ، فهما يكتبان ويحسبان ، وكيف يعقل لإنسان أن ينهى عن شيء يفعله .

لهذا يمكن توجيه ما ذهب إليه الشاطبي بأن التكاليف لا تتوقف في امتثالها على رسائل علمية وعلوم كونيـة ، وهذا ما وجهه به الشيخ إبراهيم رمضان في تحقيق كتاب الموافقات [1]، وهو ما ذهب إليه الإمام ابن كثير في شرحه للحديث إذ لا نفتقر في عباداتنا ومواقيتها إلى كتاب ولا حساب.[2]

أما ما فهم من كلام ابن تيمية فغير صحيح ، لأن سياق كلامه عن الحديث صريح في المسألة ، وهو يثبت غير ذلك ، والإمام ابن تيمية في السياق نفسه يثبت للأمة الكتابة والحساب ، ويثبت العلم والقراءة ، واخترت من كلامه ما يثبت ذلك ما يلي :

قال ابن تيمية :" إنا أمة أمية " ليس طلبا ، فإنهم أميون قبل الشريعة ، فإذا كانت هذه صفة ثابتة قبل المبعث لم يكونوا مأمورين بابتدائها ".[3] "

" . . .إن الأمة التي بعثه إليها فيهم من يقرأ ويكتب كثيرا ، وفيهم من يحسب ، وكان هنالك كتاب عدة كأبي بكر، وعمر، وعثمان ، يكتبون الوحي ، ويكتبون العهود، ويكتبون كتبه إلى الناس . . .وقد قال تعالى ﴿ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ ﴿٥﴾ ﴾ يونس: ٥ في آيتين من كتابه فأخبر أنه فعل ذلك "[4]

---

[1] ينظر الموافقات ، الشاطبي ، ج 4 ، ص379 .الهامش 1 .

[2] ينظر تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج1، ص149 .

[3] مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ج25 ، ص 166 .

[4] المصدر نفسه ، ص نفسها .

" . . .وأما الأمور المميزة التي هي من وسائل وأسباب الفضائل مع إمكان الاستغناء عنها بغيرها ، فهذا مثل الكتاب الذي هو الخط والحساب ، فهذا إذا فقدها مع أنها فضيلة في نفسه لا تتم بدونها ، وفقدها نقص إذا حصلها واستعان بها على كماله وفضله ؛ كالذي يتعلم الخط فيقرأ به القرآن وكتب العلم النافعة [1] . . . . "

ويصرح الإمام ابن تيمية نفسه في كون المقصود من الحديث إنا لا نحتاج في الأمور العبادية إلى كتاب وحساب ، وهو خاص في الرؤية إذ يقول : " فبين النبي- صلى الله عليه وسلم – أنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب هذا الحساب فعاد كلامه إلى نفي الحساب والكتاب فيما يتعلق بأيام الشهر الذي يستدل به على استرار الشهر وطلوعه ،. ، وبين أن المراد أنا لا نحتاج في أمر الهلال إلى كتاب ولا حساب ؛ إذ هو تارة كذلك وتارة كذلك ، والفرق بينهما هو الرؤية فقط ، ليس بينهما فرق آخر من كتاب ولا حساب كما سنبينه ، فإن أرباب الحساب والكتاب لا يقدرون على أن يضبطوا الرؤية بضبط مستمر ، وإنما يقربوا ذلك فيصيبون تارة ، ويخطئون أخرى . .وصفة الأمية مدح وكمال من جهة الاستغناء عن الحساب والكتاب بما هو أظهر وأبين" [2] .

تبين مما سبق أن نفي الحساب والكتابة خاص في الأمور العبادية ، وهو في الحديث مرتبط برؤية الشهر، ولا يتعداه إلى غيره ، لهذا ينبغي أن لا يؤخذ كلام الإمامين على إطلاقه .ولأن القضية إذا أخذت على إطلاقها تؤدي إلى محاصرة العقل المسلم ، وعدم استجابته لما فرض عليه من أمر العلم والقراءة ، والنظر في الكون ، واكتشاف أسراره ، والتباهي بالأمية على أساس أنها أمر ممدوح إليه في الأوساط الإسلامية أمر مرفوض ، وجب على الأمة تداركه والنظر فيه ، ولا ينبغي أن تتخذ ذريعة للتقاعس عن العلم والقراءة ، والبحث ، والنظر ؛ إذ لا يعقل بداهة لأمة ابتدأ فيها الأمر بالقراءة ، والتوجه نحو العلم والمعرفة ، أن يكون عدم العلم والمعرفة وصف مدح وكمال في حقها .

---

[1] المصدر نفسه ، ص171 .

[2] المصدر السابق ، ص173 .

الفصل الثاني : دلالات الفعل قرأ في القرآن الكريم

المبحث الأول : اشتقاقات الفعل قرأ ومعناها في سياقها الموضعي.

المبحث الثاني : الألفاظ المتعلقة بالقراءة ومعناها في السياق القرآني

تمهيد:

لفعل القراءة مكانة عالية في اللسان العربي ، لم يلتفت إليه ولم تعط حقه من العناية حتى الآن ، فيكفي في ذلك أنها أول كلمة نزلت من القرآن [1] ، فكانت بذلك بداية للوحي ، ونقطة تغيير في حياة البشرية والوصول بها إلى عهد جديد لم تعهده من قبل . الأمر الذي يدعو إلى البحث عن معانيها ودلالاتها من منظور القرآن الكريم ؛ وذلك من خلال تتبع اشتقاقاتها ، والبحث في معاني الألفاظ المتعلقة بها في القرآن الكريم . ويتبين هذا من خلال ما ستبينه الباحثة في المبحثين الآتيين :

[1] ينظر القراءة والقرآن ، عثمان محمد علي،.www.alhewar.orgمقال ، تاريخ الدخول2010/02/07.

المبحث الأول : اشتقاقات الفعل قرأ ومعناها في سياقها الموضعي.

ورد فعل قَرَأَ ومشتقاته في القرآن الكريم في مواضع مختلفة ، تمثلت في الاشتقاقات الآتية : اِقرَأْ ، يَقْرَؤُنَ ، نَقرَؤُهُ ، اِقْرَءُوا ، سَنُقْرِئُكَ ، قُرِئَ ، لِتَقْرَأَهُ، قُرْآنَهُ ، قَرَأْتَ ، قُرْآنَا ، بِقُرآن ، فَقَرَأَهُ ، قَرَأْنَاهُ ، القُرآن ؛ ورد في ذلك بعدة معان في سياقات مختلفة ؛ مرة في سياق قراءة النصوص اللغوية ، ومرة في سياق قراءة القرآن ، ومرة في سياق قراءة الكون ، وورد مرة أخرى في سياق كتاب الأعمال في الآخرة .

المطلب الأول : ورود فعل القراءة في سياق القراءة اللغوية :

ورد فعل القراءة في سياق القراءة اللغوية في قوله تعالى ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ ﴾ العلق: ٣ – ٤ . والقراءة اللغوية هي قراءة الحروف والكلمات والجمل والعبارات التي تكتب بالقلم ، حتى يتمكن الإنسان أن يربط فهمه بما أمر به من عقيدة وقول وعمل [1] ، ويربط فهمه كذلك بما يحيط به من أشكال العلوم وأصنافها باعتبار أن القراءة هي مفتاح العلوم.

وقد أدرك النبي – صلى الله عليه وسلم – والصحابة من بعده أهمية القراءة بكونها مفتاح العلم ، وأنها السبيل إلى ازدهار الأمة وتطورها ، ولأجل هذا جعل القراءة مقابل الفداء ، حين طلب من الأسرى أن يعلم كل واحد منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ، مقابل فك أسره ، مع كون المسلمين في ذلك الوقت بحاجة إلى الاحتفاظ بالأسرى مقابل الضغط على قريش ، لكنه – صلى الله عليه وسلم – نظر في ما هو أهم من ذلك ، وهو تكوين نخبة من القراء في مجتمع المدينة . ومن جهة أخرى كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقدم من له علم بالقراءة والكتابة على غيره من الصحابة ، مثل زيد ابن ثابت – رضي الله عنه – الذي صار ملازما للنبي – صلى الله عليه وسلم – لكونه يعرف الكتابة والقراءة. وقد كان يقدم على أبي هريرة على الرغم من أن أبا هريرة كان أكثر الصحابة حفظا لأحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم –[2]

---

[1] ينظر تفسير الرسول –صلى الله عليه للقرآن ، محمد عفيفي ، (د،ن) ، ط(د ت) ، ص167 .

[2] ينظر القراءة منهج حياة ،د/راغب السرجاني ، ص 10-11-12 .

والقراءة والكتابة كانتا عاملين أساسيين في ظهور مكتبات إسلامية خلفت ثروات علمية ، وتراثاً علمياً ، لم يسبق للعالم أن شهد مثله ، يرجع إليه في مدراسة العلوم ، ويساعد على نقلها من جيل لآخر .

وقراءة النصوص اللغوية كانت عاملا أساسا كذلك في حفظ القرآن الكريم وأحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – واستنباط ما ينفع الأمة منهما من علم وهداية.

وقد تعددت أساليب القراءة اللغوية في العصر الحاضر ، وتنوعت أساليبها واختلفت مفاهيمها ، ولم تقتصر على قراءة المكتوب بالأقلام ، أو الوسائل البدائية ؛ فظهر منها القراءة عن طريق جهاز الحاسوب ، وقراءة الأقراص المضغوطة وغيرها من أشكال القراءة التي عرفتها البشرية في العصور المتأخرة.

المطلب الثاني : ورود فعل القراءة في سياق قراءة القرآن :

ورد ت اشتقاقات الفعل قرأ في القرآن الكريم في سياق قراءة القرآن الكريم في مواضع مختلفة منها :

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ النحل: ٩٨

جاء في هذه الآية الأمر بالاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن حتى لا يلبس على القارئ قراءته ، ويخلط عليه ، ويمنعه من التدبر والتفكر.[1]

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾الأعراف:٢٠٤

[1] تفسير القرآن العظيم ، ج4 ، ص344 ، بتصرف.

تشير الآية إلى الطريقة الموصلة لنيل الرحمة بالقرآن ، والحصانة من نزغ الشيطان ، والاستماع أبلـــغ من السمع ، ولأنه إنما يكون بقصد ونية ، والسمع يحصل ولو بغير قصد ، والإنصات السكوت لأجل الاستماع لمن لا يكون شاغلا عن الإحاطة بكل ما يقرأ فمن كان أمره كذلك كان جديرا بأن يفهم ويتدبر.[1]

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالاستماع لقراءة القرآن على مستويين : المستوى الأول هو الاستماع ، والثاني هو الإنصات ؛ وهو درجة أعمق من الاستماع ، تعين صاحبها على تدبر معاني القرآن ، ومن ثمة تعينه على تطبيق ما جاء به.[2]

قال الشيخ القرضاوي : " الإنصات يساعد العقل على التدبر، والقلب على التأثر ، وكلاهما يساعد الإرادة على التوجه "[3] ، وهو ما فعلته الجن حينما سمعت القرآن من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٩ – ٣١

أعان هؤلاء حسن استماعهم للقرآن على تدبر معانيه ، ثم الإيمان به[4].

وقوله تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ ﴿٤٦﴾ ﴾ الإسراء: ٤٦

نقل عن قتادة في تفسير هذا "هو الأكنة على قلوبهم "[5].

أي أن الله تعالى جعل القرآن وجاءٌ وحماية للمؤمن من كيد أعدائه.

---

[1] ينظر تفسير المنار ، ج9 ، ص552 .التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، دمشق سورية ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ج 9، ص227 ، ط1(1418ه–1998م) .

[2] في مناهج التعامل مع القرآن ، عبد الرحمن الحاج ، مقال ، ملتقى الإبداع الفكري ، تاريخ الدخول :19 /2010/07 . ، ص1 .

[3] كيف نتعامل مع القرآن العظيم ، يوسف القرضاوي ، دار الشروق ، ط الثالثة .(2000،1421) .

[4] ينظر المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[5] تفسير ابن كثير ، ج4 ، ص151 .

وقال ابن القيم : " جعلنا بين القرآن إذا قرأته ، وبينهم حجابا يحول بينهم وبين فهمه ، وتدبره ،والإيمان به "[1]، واعتمد في تفسير هذا على قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ ﴿٥٧﴾ ﴾ الكهف: ٥٧ ، وما بينه قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ فصلت: ٥ وقال بأن هذه الآية هي تفسير للآيات السابقة.

وقد جاء في القرآن الكريم في هذا المعنى قوله تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٦

قال الإمام الطبري : " سأصرف فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي قلوب المتكبرين عن طاعتي "[2].

يتبين من خلال هذا التفسير أن الله سبحانه وتعالى حرم الذين لا يؤمنون به من فهم القرآن وتدبره ، والإيمان به ، فكان التدبر والفهم والإيمان ،مطلوباً ومأموراً به عند المؤمنين.

وورد في سورة الإسراء قوله ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾الإسراء: ١٠٦

فسره ابن كثير بمعنى : " لتبلغ للناس وتتلوه عليهم على مهل . "[3]

ونقل القرطبي عن مجاهد وابن عباس وابن جريج : " أن يعطي القارئ القراءة حقها من ترتيلها، وتحسينها ، وتطييبها بالصوت الحسن ما أمكن ؛ من غير تلحين ولا تطريب مؤد إلى تغيير لفظ القرآن بزيادة أو نقصان . "[4]

---

[1] التفسير القيم ، ابن القيم ، جمعه محمد الندوي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط(د،ط) .

[2] مختصر تفسير الطبري"جامع البيان عن تأويل آي القرآن " ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري،اختصار وتحقيق : محمد عي الصابوني ، د/أحمد صالح رضا ، مكتبة رحاب ، ساحة بور سعيد الجزائر م 1(د،ط) ، ص283.

[3] تفسير القرآن ، ابن كثير ، ج5 ، ص78.

[4] الجامع الصحيح ، لقرطبي ، م1، ج 2، ص1825.

ويتضح من خلال هذا التفسير أن الله تعالى أمر نبيه بأن يبلغ القرآن للناس،وبين له طريقة التبليغ ؛ وهي أن يحسن صوته بالنطق بالقرآن ، وأن يتلوه على الناس على مهل حتى يعقلوه ويتدبروا ما فيه .

وورد في السورة نفسها قوله تعالى : ﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾الإسراء: ٩٣

قال الأمام الطبري في تفسير الآية : "ولن نصدقك من أجل صعودك إلى السماء حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه منشورا" .[1]

وقوله تعالى ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ .....فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ﴾ المزمل: ٢٠

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ القيامة: ١٧

فسرت بمعنى أنه إذا تلاه عليك جبريل ، فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك.ونقل القرطبي عن ابن عامر الشعبي قال : " إنما كان يعجل بذكره ، إذا أنزل عليه من حبه له وحلاوته في لسانه فنهي عن ذلك حتى يجتمع لأن بعضه مرتبط ببعض . "[2] فقوله حتى يجتمع لأن بعضه مرتبط ببعض فيه دلالة على المعنى الذي تحمله دلالة القراءة ، وهو الجمع والضم ، وفيه إشارة للمعنى التي تحملها دلالة التدبر وهو ربط بعضه ببعض.

وقيل : " إذا ألفناه بالحلال والحرام فاتبع تأليفه " ثم إن علينا بيانه " بالحلال والحرام والأمر والنهي . "[3] وقيل: " فإذا تلي عليك فاتبع ما أمرت به " .[4]

فكل هذه التفاسير فيها دلالة على الأمر بالقراءة مقرونة بالإتباع وهو ما يستفاد من أقوال المفسرين السابقة.

---

[1] مختصر تفسير الطبري ، الطبري ، م1 ، ص487.

[2] الجامع لأحكام القرآن ، الإمام القرطبي م 2، ج4، ص.

[3] تفسير ابن وهب المسمى الواضح في تفسير القرآن الكريم ، عبد الله محمد بن وهب الدينوري ، تحقيق أحمد فريد م 2، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1(1924-2003) .

[4] مختصر تفسير الطبري ، م2 ، ص503.

وقوله تعالى﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾ الأعلى: ٦ .أخبر الله تعالى نبيه الكريم بأنه سيقرؤه قراءةً لا ينساها ،فكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – بذلك متبعا لتعاليم المولى عز وجل في تلقيه وتبليغه لرسالته كما علمه ربه ، ولم يتقول على الله فيها ، ولم يضفْ إليها، أو يمحُ منها ما لم يؤمر بذلك ، فامتاز بها بذلك بأن كان أول المؤمنين بها والمطبق لها ، فتحول إلى قرآنٍ يمشي على الأرض كما روت السيدة عائشة –رضي **الله عنها** .

يستنتج مما سبق بحثه في معاني القراءة في سياقاتها المختلفة خصوصا التي جاء فيها الأمر بالقراءة ،أنها تحمل في دلالاتها معاني مختلفة ، فمنها ما يدعو إلى التدبر ويدل على طريقه ، كقوله تعالى﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾الأعراف: ٢٠٤ ، ومنها ما يدل على كيفية أداء القراءة والتلفظ بها كقوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٦ ومنها ما يأمر بالإتباع وذلك في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ القيامة: ١٨

ومنها ما أمر فيها بالقراءة فتنصرف إلى المعنى اللغوي، وهو التلفظ بالقرآن ، لكن لا يهمل فيها التدبر﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ ﴿٢٠﴾ ﴾ المزمل: ٢٠

–يتبين مما ذكره المفسرون في معاني هذه الآيات أن قراءة القرآن تأتي على مستويات مختلفة ،وليست على مستوى واحد؛ فالقرآن الكريم ذكر لفظ القراءة وعرضه في سياقات مختلفة ، وهي على النحو الآتي :

1– مستوى قراءة اللفظ قراءة النص قراءة صحيحة.

2– مستوى الفهم والتدبر .

3– مستوى الالتزام والتطبيق.

المطلب الثالث : ورود فعل القراءة في سياق قراءة الكون :

ورد فعل القراءة في القرآن الكريم في سياق قراءة الكون في قوله تعالى﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ﴾ العلق: ١ – ٢

كانت هذه الآيات هي أول ما نزل من القرآن ، وأول رحمة رحم الله بها عباده ، وأول نعمة من بها عليهم ، وقد نبه فيها على ابتداء خلق الإنسان من علق ، وأن أكرمه بتعليم له ما لم يعلم ، فكان ذلك تشريفا له وتكريما بالعلم .[1]وفسرها بعض المعاصرين[2] بمعنى قراءة الآيات الكونية المركبة من أنواع كثير ة ، فالآية الأولى جاءت بصيغة العموم بالقراءة الكونية ، وجاءت الآيات بعدها فانتقلت من هذا العموم في القراءة إلى التخصيص فيها ، وهي خلق الإنسان من علق ، فقال ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ﴾ العلق: ٢ . وخلق الإنسان كالكلمة في الآيات الكونية آيات الخلق ، وقد بدأ الله تعالى في تكليف عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – بقراءة الخلق وتركيبه العام والشامل وبكل أنواعه ، ثم خص الإنسان بالذكر، وهو نوع خاص من أنواع الخلق ، ثم العلق وهو جزء من الإنسان، وهو أصل في تكوينه.[3]

وقد أمر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بقراءة الكون ، والنظر فيه ، والتأمل في أسراره ، والوقوف عند حقيقة مظاهره ، واستعمل ذلك بأساليب مختلفة أحيانا بصيغة الأمر كقوله تعالى ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ يونس: ١٠١ .

وأحيانا أخرى بما يدل على الأمر ، كقوله تعالى ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ١٨٥ ﴾ الأعراف: ١٨٥

---

[1] ينظر تفسير ابن كثير ، ج8 ، ص273.

[2] هو محمد عفيفي في كتابه "تفسير النبي – صلى الله عليه وسلم – للقرآن .

[3] ينظر تفسير النبي-- صلى الله عليه وسلم – للقرآن ، ص166-167.

وأمر بالنظر في آيات مختلفة ومتعددة من آياته الكونية ؛ فتارة يدعو إلى النظر إلى خلق الإنسان ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ يس: ٧٧ .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾ الطارق: ٥، وتارة يدعو إلى النظر في الحيوان ، و خلق السموات والأرض ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ الغاشية: ١٧ – ٢٠، وتارة أخرى ينبه الإنسان إلى النظر فيما سخر له من المخلوقات ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ يس: ٧١ – ٧٢وسيأتي بيان ذلك والتفصيل فيه في الفصل اللاحق من هذا البحث.

لم يكتف القرآن بالأمر بقراءة الكون ، والنظر في آياته وأسراره ، وإنما أردف الأمر فيه بكيفية القراءة ، وهي القراءة باسم الله تعالى ،وسيأتي بيانها والتفصيل فيها في الفصل الأخير .

وقال القرطبي : " اقرأ ما أنزل عليك من القرآن مستفتحا باسم ربك " .[1]

أي أنه أمره بالاستفتاح بقراءة القرآن باسم الله تعالى .

يتبين من خلال ما ورد من تفسير هذه الآية ، أن الله تعالى أمر بقراءة الكون ، وقراءة القرآن باسمه تعالى ، فالكون يقرأ باسم الله ، والقرآن يقرأ باسم الله وسيأتي التفصيل في هذه المعاني في الفصلين الآتيين من هذا البحث.

[1] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج 4 ، ص330.

المطلب الرابع : ورود فعل القراءة في سياق قراءة كتاب الأعمال في الآخرة :

جاء فعل القراءة في سياق كتاب قراءة الأعمال في الآخرة مرة بصيغة المفرد ، ومرتين بصيغة الجمع :

1/ صيغة المفرد :

ورد ذلك في قوله تعالى ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ ﴾الإسراء:١٤.جاءت بصيغة المفرد للدلالة على المسؤولية التي يتحملها الإنسان على أعماله [1]،وقد أشار القرآن إلى هذا المعنى في قوله تعالى﴿ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ مريم: ٩٥ – ٩٦ .

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ الإسراء: ١٣" نجمع له كتابه كله ، كتاب يعطاه يوم القيامة ، إما بيمينه إن كان سعيدا ، وإما بشماله إن كان شقيا" .[2]

2– صيغة الجمع :

ورد الفعل قرأ بصيغة الجمع في سياق قراءة الأعمال في الآخرة في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ ﴾ الحاقة: ١٩ .

تتحدث الآية عن قراءة كتاب الأعمال يوم يفرح المؤمن بكتابه ، جزاء بما أوتي من أعمال حسنة ، لأنه يعلم أن الذي فيه خير .[3]

---

[1] القراءة والقرآن ، ص3 .

[2] تفسير ابن كثير ، ج 5 ، ص33 .

[3] ينظر المرجع نفسه ، ج 8 ، ص136 .

وقال تعالى ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ الإسراء: ٧١ – ٧٢

تشير الآيات إلى أن الإنسان يقرأ كتابه مجموعا ، من غير تفريق حتى يحسم أمره إن خيرا فيثاب وإن شرا فيعاقب .

يستخلص مما سبق من دلالات القراءة ومعانيها في القرآن ، أن على المرء أن يحسن اختيار ما يعمله في الدنيا ، حتى - يسر بقراءة ما قد يجده في الآخرة[1] .وقد قال الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ الإسراء

ففي الدنيا قراءة وعمل ، وفي الآخرة قراءة من غير عمل ، وهذا ما قد بينته في العلاقة بين القراءة والكتابة من جهة ، و ما سأبينه في العلاقة بينها ، وبين العمل من جهة أخرى .

[1] ينظر القراءة والقرآن ، محمد علي ، ص3 .

المبحث الثاني :

الألفاظ المتعلقة بالقراءة في القرآن ومعناها في سياقها الموضعي

أمر الله تعالى بقراءة القرآن في مواضع متعددة ، اختلفت فيها ألفاظ الأمر بالقراءة ؛ فتارة ذكرها بلفظ القراءة، وأحيانا أخرى بالترتيل ، والتدبر ، وأخرى بالتلاوة .فهل ذكر القرآن الكريم هذه المفردات عوضا عن لفظ القراءة ؟ أم أنه استعمل هذه الألفاظ لتأسيس معنى جديد ، أو وجها من أوجه القراءة ، أو لبيان معاني أخرى غير القراءة لها صلة بها ؟وما وجه التفريق بين هذه المفردات ؟هذا ما ستبنه الباحثة من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول : العلاقة بين الترتيل و القراءة في القرآن الكريم :

لقد أمر الله تعالى في القرآن الكريم بقراءة كتابه العزيز ، فكان أمره في ذلك بعبارات مختلفة ، ومن هذه المفردات التي ذكرها عوضا عن لفظ القراءة هي الترتيل ، لذلك استدعى الأمر أن يبحث عما إذا كانت هذه المفردة تحمل نفس الدلالة التي تحملها القراءة ، أم أن الترتيل شيء غير القراءة ؟

1/تعريف الترتيل في اللغة :

التَرْتيلُ لغة مأخوذ من الرتْلِ ، وهو حسن تناسق الشيء، يقال ثَغْرٌ رَتْلٌ ، أي حَسَنُ النَضيدِ ، مستوي اللبناتِ ، ومنه سميت الرَتيلاءُ بهذا الاسم ؛ لأنها تَنضدٌ شكلها بشكل بديع ، وقيل هو المُفْلَج ، أو من بين أسنانه فروج لا يركب بعضها بعضا ، والرَتْلُ : بياض الأسنان وكثرة مائها ، وكلامٌ رَتْلٌ ، ورَتِلٌ أي مُرَتَلٌ حَسَنٌ على تُؤدَةٍ ، ورَتَلَ الكلامَ إذا أحسن تأليفه وأبانَه ، وتمهل فيه ، والتَرتيلُ في القراءة التَرَسُل فيها والتبيين من غير بغي ، وقال أبو العباس: " ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبيين "[1]

[1] لسان العرب ، ابن منظور ، م 2، مادة رتا ، ص1120 .

قال ابن منظور: " أراد به قراءة القرآن ".[1]

وخلاصة الأمر في هذا الترْتيـــــلُ في اللغة معناه التحسين والتبيين ، وحســـــن التنسيق ، فكان بذلك طريقا للتدبر والاستنباط ، لأن قراءة النص قراءةً صحيحةً مبينةً تساعد القارئ في تدبر معاني النص المقروء .

2-معنى الترتيل في القرآن الكريم:

نقلت عن المفسرين آراء مختلفة عن معنى الترتيل في القرآن الكريم ، فنقل الإمام الطبري عن جماعة أنه التبيين والتفسير ، وروي مثل ذلك عن ابن زيد ، وروي عن مجاهد قراءته بعضه على إثر بعض ، وروي عنه أيضا ترسل فيه ترسلا ، وروي عن ابن عباس : بينه تبيينا .[2]

وقال الزجاج في قوله تعالى﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الفرقان: ٣٢ : "أي أنزلناه على الترتيل وهو ضد العجلة ، والتمكث فيه ".[3]

و يفسره من القرآن قوله تعالى ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٦ .فقد فسرها المفسرون بمعنى : على مَهْلٍ وتُؤَدَةٍ وطمأنينةٍ.[4]

وقال الطاهر بن عاشور في قوله تعالى : " ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ المزمل:٤ . "التَرْتيلُ جعل الشيء مُرَتلاً ، أي مفرقاَ ، وأصله من قولهم ثَغْرٌ مُرَتَلٌ ، وهو المفلج الأسنان ، أي المفرق بين أسنانه تفريقا قليلا بحيث لا تكون النواجد متلاصقة

---

[1] المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

[2] ينظر جامع البيان في تفسير في تأويل القرآن ، الإمام أبو جعفر الطبري ، حققه أحمد شاكر ، مؤسسة دار الرسالة ، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.ص

[3] لسان العرب المحيط ، ابن منظور ، مادة رتل م2 ، ص1120 .

[4] ينظر آراء المفسرين في الصفحات السابقة فيما يتعلق بتفسير الآية ، في مبحث اشتقاقات الفعل قرأ ومعناها في سياقها الموضعي ، ص46.

وأريد بترتيل القرآن ترتيل قراءته ، أي التمهل في النطق بحروف القرآن حتى تخرج من الفم واضحة ، مع إشباع الحركات التي تستحق الإشباع" .[1]

وكل هذه المعاني تكاد تتفق على أن الترتيل هو تحسين الصوت بالنطق بالقرآن ، و قراءته قراءة مرسلة مبينة ؛ من غير عجلة ، وفي هذا طريق لحصول الفهم ، والتدبر .

والشاهد في هذا قول ابن مسعود– رضي الله عنه – لمن أخبره أنه يقوم بالقرآن في ليلة :

" أهذ كهذ الشعر؟ "[2]والهذ هو السرعة في القراءة .[3]

وقد ورد الترتيل في القرآن الكريم في موضعين هما قوله تعالى ﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الفرقان: ٣٢وقوله﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ المزمل: ٤

يتعلق الوصف في الآية الأولى بنزول القرآن ، وقد نسب فيه الترتيل إلى الله جل وعلا ، والثانية هي أمر خوطب به النبي – صلى الله عليه وسلم – وأمته بذلك من بعده .

و تشير أقوال المفسرين في معنى الترتيل إلى أنه سبيل لفهم القرآن وربط ألفاظه بمعانيـــــــه ، ومن ثمة استشعار الجمال الشكلي والمعنوي فيه ، وكل هذه المعاني تشير إلى خاصية التبيين والتفصيل والجمال يتجلى من خلال التفصيل والتبيين[4] ، وهذا ما دلت عليه آراء المفسرين السابقة التي اشتملت على معنى التفسير والتبيين والترسل.

---

[1] التحرير والتنوير ، بن عاشور ، ج 19، ص243.

[2] رواه مسلم عن أبي وائل ، ،ينظر صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط(د،ت) ، ج 1، كتاب صلاة المسافرين وقصرها " .باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ" ، ص563.

[3] ينظر لسان العرب. ، م5، مادة هذ،ص

[4] ينظر الواجب المعرفي تجاه القرآن ، مقال ،عبد الرحمن حللي ، ملتقى الإبداع الفكري www.almeltaka.net،2010/07/1.ص4.

وجمال الكل في القرآن الكريم يتضح للقارئ من خلال تفصيل أجزائه ، والتؤدة في عرضها ، وباستحضار هذه المعاني يدرك أن المقصود بالترتيل هو التذوق الجمالي للقرآن الكريم بجرس ألفاظه ، وظهور معانيه ، ومن ذلك فمرتبة الترتيل تبدو أعلى المراتب من القراءة والتدبر والتلاوة ؛ إذ أنها ترتقي إلى مستوى من التذوق والفهم لا يدرك إلا بعمق، ولعله السر في كون الترتيل الإلهي المخبر عنه ، والترتيل البشري المأمور به مؤكدا بالمفعول النكرة الذي يفيد التعظيم .[1]

ومن ثمة يكون الترتيل في القرآن هو القراءة المترسلة المفسرة المتدبرة التي يتمكن القارئ فيها من تبيين الحروف ، واستشعار المعاني.أي بمعنى قراءة النص قراءة صحيحة تمكن القارئ من تذوق المعنى وتدبره.

المطلب الثاني : العلاقة بين التدبر و القراءة.

1/ تعريف التدبر في اللغة : التَدبُر مأخوذ من الفعل الثلاثي "دَبَرَ" ، و أصله آخر الشيء وخَلفه ، وفي لسان العرب : دَبَرَ الأمرَ ، وتَدَبَّرَهُ أي نظر في عاقبته ، وعرف الأمر وتدبر آخره ، وتَدَبُرُ الكلامِ بمعنى النظر في أوله وآخره ، ثم إعادة النظر فيه مرة بعد مرة .

والتَدَبُرُ في الأمر التفكر فيه ، وفلان ما يدري قبال الأمر من دباره ، أي أوله من آخـــــره ، ويقال فلان لو استقبل من أمره ما استدبره لهدي لوجهة أمره ، أي لو علم في بدء أمره ما علمه من آخره لا سترشد لأمره ، وقال أَكْثَم بن صيفي لبنيه :" يا بني لا تدبر أعجاز أمور قد ولت صدورها"[2].

ودبرت الأمر تدبيرا فعلته عن فكر وروية ، وتدبرته تدبيرا نظرت في دبره ، وهو عاقبه وآخره ، والتدبر: " النظر في دبر الأمور ، بمعنى عواقبها ، وهو معنى أخص من التفكر ، غير أن التفكر تصرفه في الدليل ، والتدبر تصرفه بالنظـــــر في

---

[1] المرجع السابق ، الصفحة نفسها .باختصار.

[2] ينظر لسان العرب ، ج4 ، مادة "دبر"ص942.

العواقب "[1].

ومن خلال هذا يظهر أن أصل التدبر في اللغة يرجع إلى النظر في العواقب والنهايات ؛ فهو عملية ذهنية يقوم بها العقل السليم من أجل أن يهتدي إلى حقيقة الأمر، وما يؤول إليه.

2/معنى التدبر في القرآن الكريم :

يقصد بتدبر القرآن : النظر والاهتداء إلى مغزى الآيات القرآنية ومقاصدها وأهدافها ، وما ترمي إليه بواسطة إعمال الفكر والتأمل وبذل الجهد في فهم الآيات ،

قال عبد الرحمن حبنكة الميداني عن التدبر هو :" التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة."[2]

ويلزم التدبر بهذا المعنى انتفاع القلب بمعاني النص؛وذلك بخشوعه عند مواعظه وخضوعه لأوامره وأخذه العبرة منه.[3].

ولأجل هذا نعى القرآن الكريم على الذين لا يتدبرونه ، ويكتفون منه بالقراءة التي لا تتجاوز أفواههم إلى قلوبهم وعقولهم ، استعمل ذلك بأساليب متنوعة ؛ أحيانا بصيغة الأمر، وأحيانا أخرى بما يدل عليه، كقوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٨

وقوله تعالى﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢

وقوله تعالى﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤

وقوله تعالى﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩

---

[1] تعريفات ومصطلحات لغوية وفقهية وفلسفية جمعت من أمهات الكتب الفلسفية والفقهية واللغوية ، علي محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط(2000م) مادة دبر ، ص41.

[2] ينظر التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل ، حبنكة الميداني ، ص10 .

[3] ينظر مختار الصحاح محمد بن ألب بكر بن عبد القادر الرازي ،اعتنى بترتيبه ، محمود خاطر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط(1225ه-1426ه) مادة دبر ، ص178 ، التعريفات للجرجاني، ص41.

نقل ابن كثير عن قتادة في تفسير هذا :" أنهم لو تدبروا القرآن وعقلوه لوجدوا فيه زاجرا عن معصية الله لكنهم أخذوا بما تشابه منه فهلكوا ".[1]

وكل هذه الآيات جاءت داعية لتدبر القرآن وناهية عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة .[2].

ومن خلال هذا يدرك القارئ مدى أهمية عرض القصص في القرآن الكريم ؛ إذ إنه مدعاة للتدبر والتأمل والتفهم ، والغرض من تكرار القصة في القرآن هو النظر في عواقبها وما تؤول إليه ، فمثلا قصة سيدنا موسى مع فرعون كثيرا ما تكرر ذكرها في القرآن الكريم بغية تكرار قراءتها، وإعادة النظر فيها مرة بعد أخرى ، وكل هذه المعاني شاملة ، جامعة لمعنى التدبر ، ولذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١١﴾ ﴾ يوسف: ١١١

وقد ذكرت قصة آدم – عليه السلام – في سورة الأعراف ، طه ، الكهف ، والإسراء، لكن آخر ما ذكر عنه كان في سورة البقرة ، وهي أول ما يقرأ من القرآن الكريم ، وهذا ترتيب إلهي من ورائه حكمة من غير شك في ذلك ، والقصص القرآني لابد أن ينظر إليه من خلال دراسة الآيات التي نزلت بها ، وهو ما يسمى بالجمع[3]، وهو ما تحمله دلالة القراءة في اللغة فعلا ، فالتدبر لا يختلف عن معنى القراءة من هذه الوجهة.

يتبين مما سبق أن مفهوم التدبر من لوازم القراءة الصحيحة الكاملة لمعنى القراءة في لغة العرب ، فإذا كانت حقيقة القراءة هي قراءة المنطوق والتعرف عليه ، ثم الانتفاع بالمقروء، فكذلك التدبر هو قراءة الكلام والنظر في عواقبه ، ثم الانتفاع به .

---

[1] ينظر تفسير القرآن العظيم ، ج5 ، ص279.

[2] ينظر المصدر نفسه ، ج ، 1ص220، ج 5 ، ص279.

. ينظر كيف نتعامل مع القرآن ، ص193

ومن هنا يمكن القول بأن كل قراءة لا ترقى إلى معنى التدبر، فهي قراءة ناقصة أو فاسدة ، لا ينتفع بها صاحبها ، وغير ذات جدوى ، فمن لا يتدبر النص القرآني في القصص وغيره لا يمكنه أن ينتفع منه بشيء في حياته ، ومن لم يتدبر عواقب الكفر وهلاكه لا يمكنه أن يؤمن به ، ومن لم يتدبر عواقب الشر لا يمكنه أن ينتهي عنه ، و من لم يتدبر حياة الآخرة ، وسبيل النعيم فيها لن يعمل له .

المطلب الثالث : العلاقة بين التلاوة والقراءة :

لقد ورد في القرآن استعمال لفظ التلاوة عوضا عن القراءة في عدة مواضع يأمر الله تعالى فيها بالتلاوة ، وهو ما يستدعي البحث عن العلاقة بين التلاوة والقراءة ، وهل التلاوة هي القراءة ، أو التلاوة شيء غير القراءة ، وما وجه التفريق بينهما ؟

1/معنى التلاوة في اللغة:

التِلاَوَةُ في اللغة مأخوذة من الفعل الثلاثي" تَلَوَ"، و تَلَا تَلَوْتُهُ أَتْلُوهُ وتِلْواً خذلْتُهُ ، وتَلَوْتُهُ تِلْواً تَعْتُهُ ، وتَتَالَتِ الأمورُ ، تَلاَ بعضها بعضا ، وأَتْلَيْتُهُ إياه أَتْبَعْتُهُ ، وتَتَلَى تَتَبَعَ ، وهذا تلوَ هذا أي تَبِعَهُ ، وناقة مَتْلٌ ومَتْلِيَةً يَتْلُوهَا ولدُها أي يَتْبَعُهَا ، وقال الليث : " تَلاَ يَتْلُو تِلاَوَةً يعني قَرَأَ قِرَاءَةً، ويتلو كتاب الله يقرؤه ويتكلم به ، وفلان يتلو فلانا أي يحكيه ويتبع فعله" .[1]

وخلاصة الأمر أن التلاوة في اللغة تنصرف إلى معنى : الإتباع ، والقراءة.

2/معنى التلاوة في القرآن الكريم :

ذكر الإمام الراغب أن التلاوة في القرآن تكون أحيانا بالجوارح فتعني الاقتداء والإتباع، وأحيانا تكون بالقراءة ، وهو تدبر المعنى ، وهي تختص بالكتب المنزلة تارة بالقراءة وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي وترغيب [2].

---

[1] لسان العرب ، ابن منظور ، م 1، " أ، ح" ، ص329.

[2] ينظر المفردات في غريب القرآن ، الراغب ، ص75.

من خلال هذا يتبين أن التلاوة في اللغة لا تخرج عن نطاق ما ورد في القرآن من معان ؛ غير أن معانيها في القرآن أوسع ، فقد وردت في القرآن الكريم مشتملة على أربعة معان :

1/ القراءة:

وهي بمعنى ترديد اللفظ بالنطق بالقرآن ، و من ذلك ما ورد في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴿١٥﴾ ﴾ يونس: ١٥

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ يونس: ١٦

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن تعنت الكفار من مشركي قريش بأنهم إذا قرأ عليهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – القرآن قالوا ﴿ ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴿١٥﴾ ﴾ يونس: ١٥ [1]، لكن هذه القراءة لا تقتصر على مجرد ترديد اللفظ فلا بد أن يصحبها التدبر لأن التلاوة كما عرفها الإمام الراغب إذا انصرفت إلى معنى القراءة فتعني تدبر المعنى وتفهمه.

2/ التبليغ:

ورد لفظ التلاوة في القرآن بمعنى التبليغ ، وذلك إذا تعلق الخطاب بالنبي– صلى الله عليه وسلم – ، كما ورد في قوله تعالى ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الكهف: ٢٧

قال ابن كثير : " يقول تعالى آمرا رسوله – صلى الله عليه وسلم– بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه للناس"[2] ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الكهف: ٢٧ وقوله تعالى ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٥

---

[1] ينظر تفسير القرآن ، ابن كثير ، ج 4، ص150.

تفسير المصدر السابق ، ج 5، ص 91.

قال ابن كثير : " قال تعالى آمرا رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن وإبلاغه للناس﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ ﴿٤٥﴾ ﴾العنكبوت: ٤٥ .[1]

و قد فسرت التلاوة في الآيتين بمعنى القراءة مع التبليغ .

وفسرت كذلك بمعنى التبليغ في قوله تعالى ﴿ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ ﴿١٧﴾ ﴾ هود: ١٧ قال ابن كثير : "وهو القرآن بلغه جبريل إلى النبي– صلى الله عليه وسلم – وبلغه النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى أمته" .[2]

3/ التنزيل والوحي :

يرد لفظ التلاوة في القرآن بمعنى التنزيل والإيحاء إذا تعلقت التلاوة بالله عز وجل ، مثل ما جاء في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾ آل عمران: ٥٨

قال ابن كثير :" ننزله عليك ".[3]

4/ الاتباع :

ورد لفظ القراءة في القرآن بمعنى التعاقب في مواضع كثيرة منها :

قوله تعالى ﴿ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ ﴾ الشمس: ٢ روي عن مجاهد بمعنى :(إذا تبعه)[4].

ووردت بمعنى التابع أيضا في قوله تعالى ﴿ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ آل عمران: ١١٣

---

[1] المصدر نفسه ، ص 116.

[2] المصدر نفسه ، ج4 ، ص183.

[3] المصدر نفسه ، ج 2، ص 28.

[4] ينظر المصدر نفسه ، ج 8 ، ص275.

وقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ البقرة: ١٢١

ووردت في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ فاطر 29

لعل سياق هذه الآيات يبين لنا أن معنى التلاوة بحقها هنا يفيد الالتزام و العمل ؛ إذ أن كل هذه الآيات ذكر فيها العمل بعد ذكر التلاوة ففي الآية الأولى ذكر التلاوة ، ثم أردفها بالسجود ، وفي الثانية ذكر التلاوة ، ثم أتبعها ببعض العبادات التي هي من جنس العمل كالصلاة والإنفاق في السر والعلانية .

ومحل الشاهد في توكيد المعنى الذي تمت الإشارة إليه ، هو قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ البقرة: ١٢١ .

روي عن ابن عمر في تفسير هذه الآية : " أنه إذا مر بالجنة سألها وإذا مر بالنار تعوذ منها ، وروي عن ابن مسعود وابن عباس : بمعنى يحلون حلاله ويحرمون حرامه ، وزاد ابن مسعود : يقرؤونه كما أنزل ولا يتأولونه على غير تأويله ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، وروي عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر كذلك : يتبعونه حق إتباعه" .[1]

وكل هذه المعاني تكاد تجتمع على معنى واحد يعود إلى الاتباع ، فالذي يحل حلاله ويحرم حرامه هو متبع له بالضرورة.

– يستفاد مما سبق أن التلاوة في القرآن الكريم إذا تعلقت بالله تعالى فإنها تعني التنزيل، وإذا تعلقت بالنبي – صلى الله عليه وسلم – فهي قراءة مع التبليغ ، وإذا تعلقت بالبشر فهي قراءة مع وجوب الإتباع ، و يجده المتدبر لكتاب الله تعالى أن القرآن إذا ذكر لفظ التلاوة في سياق حديثه عن المؤمنين قرنها بالعمل ، وهذا الأخير هو الذي يهم الباحث في هذا البحث فالتلاوة لا تتم إلا إذا قرنت بعمل ، فيكون ذلك مثل الإيمان لا يكفي فيه التصديق بالقلب والنطق باللسان ، وإنما هو عمل بالأركان أيضا

[1] تفسير ابن كثير ، ج1 ، ص195 .

ثم إن تعامل الصحابة – رضوان الله عليهم – مع القرآن الكريم يعكس للمسلم فهمهم العميق لمعنى التلاوة ، ولمعنى قوله تعالى﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴿١٢١﴾ ﴾ البقرة: ١٢١؛ إذ روي عنهم –رضي الله عنهم – أنهم كانوا إذا قرءوا آيات من القرآن لم ينتقلوا إلى غيرها حتى يقفوا على معناها ، ويعملوا بمقتضاها ،ومنه ما روي عن ابن مسعود – رضي الله عنه– : "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات من القرآن ثم لا يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن".[1]

والانتفاع بهدي القرآن لا يكون إلا باتباعه والعمل به ، وهو ما صرح به القرآن نفسه في قوله تعالى ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٥ .وهو ما لخصته السيدة عائشة – رضي الله عنها – حين سئلت عن خلق النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالت : "كان خلقه القرآن".[2]

–يستخلص مما سبق أن علاقة التلاوة بالقراءة هي: أن القراءة تنصرف إلى المعنى الأصلي لكلمة التلاوة ، وهو النطق بالكلمات وإتباع بعضها ببعض ، وهذا على مستوى الشكل ، أما التلاوة بالنظر إلى المآل ، فهي تنصرف إلى معنى الإتباع والاهتداء بهدي القرآن. "فالقراءة أداء لفظ للآيات والنص القرآني هي تطبيق لأصل المعنى اللغوي للتلاوة ، وهو الإتباع والتتابع ، ففي قراءة النص إتباع الألفاظ بعضها ببعض ، هذا في الإطار الشكلي، أما في السياق العملي فهي الإتباع حقيقة وهو العمل بمقتضى النص ومعناه ، وقد عبر عن هذا المعنى بالخصوص " حق التلاوة " ذلك أن نتيجة التلاوة الحقة وصف الإيمان ، ونلحظ في معظم الآيات التي ورد فيها لفظ التلاوة باشتقاقاته المختلفة ، أن السياق يدل على احتمال المعنيين ،وهو الأداء اللفظي وإتباعه بالعمل، "[3].

---

[1] رواه الطبري في مقدمة التفسير والأثر 81 ، وقال الشيخ شاكر في تخريجه هذا إسناد صحيح.

[2] رواه مسلم بلفظ : قال قتادة (وكان أصيب يوم أحد) فقلت يا أم المؤمنين : أنبئني عن خلق رسول الله –صلى الله عليه وسلم – قالت : أولست تقرأ القرآن ؟ قلت بلى قالت " : فإن خلق نبي الله – صلى الله عليه وسلم – القرآن " كتاب صلاة المسافرين. باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض،ج1ص139 .

[3] الواجب المعرفي تجاه القرآن ،عبد الرحمن حللي ، ص1 .

يتبين مما سبق أن التلاوة ليست ترديدا للفظ ، وإنما هي تطبيق عملي ، وترجمة لفعل القراءة ، وهي بذلك تؤكد المعنى الحقيقي لفعل القراءة الصحيحة الكاملة ؛ إذ لا يمكن للقراءة أن تعطى معناها الجامع والكامل إن لم تصل إلى مرحلة التطبيق الفعلي .

وخلاصة ما سبق من التفريق بين القراءة والمفردات المتعلقة بها (التدبر، التلاوة، والترتيل) يمكن القول بأن هذه المفردات لم يستعملها القرآن عوضا عن لفظ القراءة إلا إشارة إلى معاني أخرى تفيدها هذه المفردات ، وأنه لا ترادف بينها أيضا، والفرق بينها لا يقتصر على الشكل وبنا ء اللفظ .

والعلاقة بينها تكمن في كون التلاوة تتابع الحروف والكلمات ،والترتيل إظهار الجمال في أجزاء القرآن وتفاصيله ، والتدبر استخلاص الروابط والعلاقات بين أجزاء النص وكلها لا تؤخذ إلا بإعطاء النص بنية متكاملة ثم تتبع تفاصيله عبر مستويات من التناول تبدأ من كلماته وحروفه وتنتهي باكتشاف نظامه المفصل والمحكم .[1]

ولهذا يمكن القول عن هذه المفردات بأنها: " مستويات منهجية للتعامل مع النص القرآني ، وكل منها يكشف جانبا من معاني النص ، وهي بذلك تؤكد بعدي الجانب اللفظي والمعنوي وتلازمهما ، والبدء في ذلك بالقراءة ، وهي على مستويين : الأول يقتضي السماع ، ويتبع بالتلاوة أداء وسلوكا ، والثاني يقتضي الإنصات ، ويتبعه في ذلك التدبر ، واكتشاف النظام القرآني ووحدته ، ثم يأتي الترتيل فيرتقي إليه التلاوة فتكشف الجمال اللفظي للقرآن ، أو يرتقي إليه التدبر فيكشف بذلك الجمال المعنوي ".[2]

وقراءة القرآن إذا لم تستوف هذه المعاني كلها لا يمكن أن تعطي القرآن حقه من القراءة المأمور بها ، ولا يفهم من قراءة القرآن أنها تقتصر على مجرد القراءة اللفظية ، وإنما هي قراءة مشتملة على حسن الترتيل ،وتدبر الألفاظ واستشعار معانيها ، ثم اتباع

---

[1] في مناهج التعامل مع القرآن عبد الرحمن الحاج ، مقال ، 2010/07/19.ص2.

[2] الواجب المعرفي تجاه القرآن ، عبد الرحمن حللي ، مقال ،.www.Almultaka .net.ص4.

هديها .ولعل هذا المعنى هو المستفاد من قوله تعالى ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ آل عمران: ٧٩

روي في تفسير الآية أي :" كونوا أهل عبادة وتقوى بما تفهمون من معاني القرآن،وتحفظون من ألفاظه "[1]

وما يشمل هذه المعاني كلها من السنة ما رواه الإمام البيهقي عن أبي عبيدة في شعب الإيمان قوله – صلى الله عليه وسلم – " يا أهل القرآن لا تتوسدوا[2] القرآن واتلوه حق تلاوته من آناء الليل وأطراف النهار وافشوه وتغنوه وتدبروا ما فيه لعلكم تفلحون. ".[3]

فقوله : لا تتوسدوا بمعنى لا تغفلوا عنه .

وقوله "واتلوه حق تلاوته " في إشارة إلى إتباعه والعمل به كما دلت عليه أقوال المفسرين السابقة في معنى قوله تعالى : ﴿ . . . يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ . . . ﴿١٢١﴾ ﴾ البقرة: ١٢١

وقوله : تغنوه ، فيه إشارة إلى معنى الترتيل كما دلت عليه الأحاديث التي تحث على تحسين الصوت بقراءة القرآن.

وقوله وتدبروا ما فيه هي عبارة صريحة في الأمر بالتدبر.

---

[1] تفسير القرآن ، ابن كثير ، ج2 ، ص4.

[2] قيل أن معنى : " لا تتوسدوا "تحتمل معنيين أحدهما : كناية عن التكاسل حتى لا يكون القرآن وسادة ينام عليه،وثانيهما : أن يكون كناية تلويحية عن التغافل ،لأن من جعله وسادة يلزم منه النوم فيلزم منه الغفلة ، يعني لا تغفلوا عن تدبر معانيه وكشف أسراره ولا تعرضوا عن العمل بمقتضاه والإخلاص في قراءته ومنه استنبط ابن حجر مسألة عدم جواز ترجل القرآن الكريم ، ينظر مشكاة المصابيح ، ج 2، ص868.

[3] أخرجه البيهقي عن أبي عبيدة المليكي في شعب الإيمان ، لم يتكلم عن الحديث في المشكاة ، .ينظر شعب الإيمان ، أبو بكر بن محمد الحسن البيهقي ، تحقيق : محمد سعيد زغلول ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط(1421ه–2000م)، ،مشكاة المصابيح ،ج2،ص868 .ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ : " يا أهل القرآن لا تتوسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون ، ولا تستعجلوا ثوابه فإن له ثوابا " وقال فيه الهيثمي فيه أبو بكر بن مريم ، وهو ضعيف ، الأوسط للطبراني ومجمع الزوائد للهيثمي ، ج2 ، ص262.

وروي عن ابن مسعود – رضي الله عنه – : "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات من القرآن لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن ."[1]

يتبين لنا من خلال هذين الحديثين مستويات التعامل مع القرآن الكريم ، والمعنى الحقيقي لقراءته ، فقراءة القرآن الكريم لا تتم حقيقة ولا تبلغ بالمسلم مبلغ الكمال إلا إذا اشتملت على هذه المعاني كلها .لأنه كما قيل : " إننا نسمع القرآن من إذاعات معادية للإسلام كما نسمعه من إذاعات إسلامية وكأن هذه الإذاعات مطمئنة بأنه لم يعد يؤثر في الأمة بعد غفلتها "[2] ؛ ذلك لأن الأمة لم تتعامل مع القرآن بالمعنى الحقيقي لكلمة القراءة.

-يتبين أن هذه المفردات كل منها يؤدي معنى خاصا في القرآن الكريم ، ولا يمكن أن تستعمل مفردة عوضا عن الأخرى ، وكلها تبنى على تأسيس معنى جديد، ولا تؤكد معنى سابقا ،وهو ضرب من ضروب إعجاز القرآن التي ينبغي أن ينتبه إليها القارئ لكتاب الله تعالى.

---

[1] سبق تخريجه في الصفحة 59 من هذا المطلب.

[2] كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ، ص28 ، كيف نتعامل مع القرآن العظيم ، يوسف القرضاوي ، ص411.

خلاصة الفصل

يتبين مما سبق توضيحه أن دلالات معاني المفردات السابقة (الترتيل ، التدبر ، والتـلاوة) قد بينها القرآن الكريم في سياقات أمره بقراءة القرآن ؛ فقد مر معنا في المطلب الثاني من المبحث الأول من هذا الفصل[1] أن الآيات التي أمرت بقراءة القرآن تشير إلى مستويات للتعامل مع النص القرآني ، وهذه المستويات هي : قراة النص قراءة صحيحة ، ثم مرحلة الفهم والتدبر ، وتتبعها مرحلة التطبيـق العملي ، وكل هذه المستويات متضمنة في المعاني التي ذكرها القرآن الكريم عوضا عن لفظ القراءة ، وهي :

- الترتيل : ويمثل مرحلة قراءة النص قراءة صحيحة .
- التدبر : ويمثل مرحلة الفهم والتدبر .
- التلاوة : وتمثل مرحلة الالتزام والتطبيق.
- وهذا الأمر يجعل المتدبر للقرآن الكريم يقر بحقيقة كونه القاموس الأول لشرح مفرداته ، وبيان معانيه فهو يفسر بعضه بعضا ، ومن هنا تبرز علاقة القراءة بالألفاظ المتعلقة بها .

[1] ينظر في ص44 من هذا البحث.

الفصل الثالث : مجالات القراءة في القرآن الكريم

المبحث الأول : قراءة الوحي .

المبحث الثاني : قراءة الكون .

المبحث الثالث : العلاقة بين قراءة الوحي والكون في القرآن الكريم.

تمهيد:

مر في الفصل الأول السياقات التي ورد فيها الفعل قرأ في القرآن الكريم ، وهي كونه ورد في سياق قراءة القرآن ، و في سياق قراءة الكون ، و في سياق القراءة اللغوية ، وورد أيضا في سياق كتاب الأعمال ، غير أنه عند التتبع والاستقراء وجد أن القرآن ركز على نوعين من القراءة ، وهي قراءة الوحي ، وقراءة الكون ، لذلك اقتضى الأمر أن تركز الباحثة على هذين النوعين ، باعتبار أن القراءة اللغوية هي أساس في كل من القراءتين ، وباعتبار أن قراءة كتاب الأعمال هي حصيلة ما تم في هاتين القراءتين ، فلماذا ركز القرآن على هذين المجالين من القراءة ، وما العلاقة بينهما ؟ هذا ما ستحاول الباحثة توضيحه في هذا الفصل.

المبحث الأول : قراءة الوحي

المطلب الأول : فضل قراءة القرآن :

القرآن هو كلام الله العظيم ، وسراجه المنير ، وهو حبل الله المتين ، فقد كان ولا زال ، وسيظل المرجعية الأولى للبشرية في سبيل ترشيد مسارها ، وتقويم خطاها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ۝٩ ﴾ الإسراء: ٩ ، وهو الأجدر لتحديد معايير تقدم الأمم ، قال **صلى الله عليه وسلم** : « **إن الله يرفع بهذا أقواما ويضع به آخرين** » [1] فما هي منزلة القرآن الكريم ،وما أهمية قراءته ،ومكانة قارئه؟

1/ **مكانة القرآن الكريم** :

ورد في السنة النبوية أحاديث كثيرة تدل على عظمة القرآن ومنزلة منها ما يأتي:

قوله– **صلى الله عليه وسلم** – : « **القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه** ».[2]

3إن القرآن صلة بين العبد وربه ، وشفاء نافع ، ونجاة لمن تمسك بهديه ، واتبع هداه ، روي عن ابن مسعود – **رضي الله عنه** – قوله : « **إن هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين ، والشفاء النافع لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يزيغ فيتعب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد** »[3]

---

[1] رواه مسلم في ".كتاب "صلاة المسافرين "باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه .ج1،ص269.

[2] أخرجه الدار قطني من حديث أنس مرفوعا ، قال الدار قطني ،وقد روي عن الحسن مرسلا وهو أشبه بالصواب ، ينظر تمييز الطيب من الخبيث فيا يدور على ألسنة الناس من الحديث ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشيباني الشافعي الأثيري ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط_(1405–1985 .

[3] أخرجه الحاكم وصححه ، مستدرك الحاكم على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، كتاب الفضائل ، باب " إن هذا القرآن مأدبة الله "ط(د،ت)ج1 ، ص12.

4/ إن القرآن يأتي يوم القيامة شفيعا لأهله – وهم المتبعون لهديه – ، وهو سبب في دخولهم الجنة ، قال – **صلى الله عليه وسلم – :« إن هذا القرآن شافع مشفع من اتبعه قاده إلى الجنة ومن تركه أو أعرض عنه ، أو كلمة نحوها زج في قفاه إلى النار»** .[1]

5/ إن القرآن سبب في عمارة البيوت بالنافع ، وسبب في دفع الشيطان عنها ، قال ابن مسعود – **رضي الله عنه – : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئا فليفعل ، فإن أصغر البيوت من الخير الذي ليس فيه من كتاب الله شـــيء ، إن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شي ء كخراب البيت الذي لا عامر له ، وإن الشيطان يخرج من البيت يسمع فيه سورة البقرة »** .[2]

وقد شهد بعظمة القرآن من لم يؤمنوا به أيضا من المستشرقين ، ونختار من كلامهم ما هو من باب (ما شهدت به الأعداء) ما يلي :

قال المستشرق الفرنسي د . موريس في وصفه : " أنه ندوة علمية للعلماء ومعجم اللغويين ، ومعلم نحو لمن يريد تقويم لسانه ، ودائرة معارف للشرائع والقوانين ، وكل كتاب سماوي جاء قبله لا يساوي أدنى سورة من سوره في حسن المعاني ، وانسجام الألفاظ ، ومن أجل ذلك ترى الطبقة الراقية في الأمة الإسلامية يزدادون تمسكا بهذا الكتاب ، واقتباسا منه كلما ازدادوا رفعة في القدر ونباهة في الفكر" . [3]

اعتبر د . موريس القرآن الكريم مصدرا ومنبعا لتوجيه العلوم ؛ إذ وصفه بكونه مصدرا للنحو ، واللغة ، والشرائع والقوانين ؛ واعتبره أيضا سبب اكتساب الرفعة والكمال لمن تمسك بمنهجه.

---

[1] أخرجه البزار هكذا موقوفا على ابن مسعود – رضي الله عنه – ، وروي بإسناده عن جابر – رضي الله عنه – عن أ ن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" . . .ورجال حديث جابر المرفوع ثقات ورجال أثر ابن مسعود فيه المعلي الكندي ، وقد وثقه ابن حبان. ينظر المجمع،الهيثمي ، ج10، ص171 .

[2] رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال هذا الطريق رجال الصحيح ، المجمع ، الهيثمي ،ص 164، 165 .

[3] بحوث منهجية في علوم القرآن موسى إبراهيم لابراهيم ، دار عمار ، ط(1416-1996)2، ص214.

- وفي أثناء الحملة الإنجليزية على مصر سنة 1882 ، – عندما اختلط الإنجليز بأهل أرض الأزهر وحاولوا السيطرة عليها ، عندما عرفوا أخلاق أهلها – نادى قائد عسكري في قومه مصرحا بعظمة القرآن قائلا : إنه ما دام هذا الكتاب بأيدي المصريين فلن يقر لنا قرار في تلك البلاد .[1]

تدل شهادة هذا القائد العسكري على أن تعاليم القرآن كانت مجسدة في أرض مصر أثناءها ، وأن أهل مصر كانوا يحيون بتعاليم القرآن وتطبيق مبادئه ، فأكسبهم بذلك عزة ومهابة.

2/ما ورد في فضل قراءة القرآن :

من أهم ما يبين فضل قراءة القرآن الكريم ، هو أن الله تعالى جعل تلاوته من أهم العبادات التي يتقرب بها المسلم إليه حتى يكون دائم الصلة ، وقوي الرابطة بهذا الكتاب العظيم .[2] وتظهر أهمية قراءة القرآن فيما يأتي :

- قراءة القرآن سبب في بلوغ وراثة النبوة ؛ ذلك أن النبي – **صلى الله عليه وسلم** – كان يكثر من قراءة القرآن ، ويتدبر معانيه ، ويحرص على تطبيق هديه ومبادئه، فمن كان خلقه كذلك في قراءة القرآن ، كان جديرا بأن يرقى إلى مرتبته
- **صلى الله عليه وسلم** ، روي عن ابن عمر – **رضي الله عنه** – : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من يجد ولا يجهل مع من يجهل وفي جوفه كلام الله ».[3]

---

[1] ينظر المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

[2] ينظر المرجع نفسه ، ص215.

[3] أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ينظر المستدرك ، الحاكم ، كتاب الفضائل ، باب "من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة ، ج1 ، ص138 .

أن الله تعالى أباح الحسد على القرآن ، وذلك أن يغتبط صاحب القرآن لما أعطيه من العلم والعمل به ، لما في ذلك من السبق والتسابق نحو الخيرات [1]، قال تعالى :﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾البقرة: ١٤٨

وقال صلى الله عليه : « **لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله الكتاب فهو يقوم به آناء الليل ، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار** » .[2]

إن أفضل الخلق وأحسنهم من تعلم القرآن وهديه ، وعلمه لغيره ذلك أن القرآن أشرف العلوم ،فمن تعلمه

فقد تعلم أشرفها [3]، أخرج الشيخان : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » .[4]

منزلة قارئ القرآن الكريم :

يحظى قارئ القرآن بمنزلة رفيعة عند الله تعالى ، بينها النبي – **صلى الله عليه وسلم** – في مواضع كثيرة منها :

– شبه النبي – **صلى الله عليه وسلم**– المؤمن الذي يقرأ القرآن ، ويعمل بما فيه بالأترجة طيبة الطعم والرائحة ؛ وذلك لما تميز به من خلق القرآن الكريم ، قال – **صلى الله عليه وسلم**– « **مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها**

---

[1] ينظر فتح الباري ، ابن حجر ، ج 9، كتاب فضائل القرآن ، " باب اغتباط صاحب القرآن " ، ص72 .

[2] أخرجه البخاري عن الزهري ، كتاب فضائل القرآن باب"اغتباط صاحب القرآن ،" ا الجامع الصحيح ج6 ، ص329 . .ورواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، واللفظ للبخاري.

[3] ينظر فتح الباري ، ابن حجر ، ج9 ، باب "اغتباط صاحب القرآن ، ص73 .

[4] أخرجه البخاري من طريق أبي سعيد بكتاب فضائل القرآن ، باب "خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، ينظر صحيح البخاري ، محمد بن اسماعيل بن المغير ة بن بردزبة البخاري ، المكتبة الثقافية بيروت لبنان ، د(د،ت"ص329،ومسلم ، كتاب صلاة المسافرين .

طيب وريحها طيب ،و المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ، ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنضلة طعمها مر ولا ريح لها ».[1]

– أن قارئ القرآن له شأن خاص يوم القيامة : « **يقال لصاحب القرآن يوم القيامة، اقرأه وارقه ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها** »".[2]

يختص صاحب القرآن بلبسه حلة يوم القيامة ، قال **صلى الله عليه وسلم** : « **يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يا رب حلة ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول يا رب أرض عنه ، فيرضى عنه ، وسيقال أقره وارقه ، ويزداد بكل آية حسنة** » [3]

ومما يؤكد منزلة قارئ القرآن من السنة أيضا ،هو فعل النبي – **صلى الله عليه وسلم** – ومعاملته لقتلى وجرحى أهل بدر ؛ حيث كان يسأل عن صاحب القرآن فيقدمه على غيره في اللحد ، ومن ذلك ما روى جابر – **رضي الله عنه– أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يجمع بين الرجلين من قتلى وجرحى ، ثم يقول أيهما أكثر أخذا للقرآن ؟ فإن أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد** ".[4]

إن هذه الأهمية التي أولاها النبي – **صلى الله عليه وسلم** – للقرآن الكريم ، وأهله ؛ المنتفعين بهديه ، تجعل الإنسان يتسارع ويتسابق إلى قراءة القرآن ،بغية الانتفاع بما جاء فيه من خير لصلاح العباد ، في العاجل والآجل .

---

[1] رواه البخاري في الصحيح ،كتاب فضائل القرآن باب " البكاء عند قراءة القرآن " ،ج6ص34. ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب فضل من يقرأ بالقرآن ويعلمه ، ج 1، ص 269 ، واللفظ للبخاري .

[2] رواه أحمد في المسند عن أبي هريرة أو عن ابن سعيد – شك الأعمش – ، وصححه الهيثمي ، وقال : رجاله رجال الصحيح ، المجمع ، الهيثمي ، ص162

[3] أخرجه الحاكم وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، المستدرك كتاب فضائل القرآن ، باب يلبس صاحب القرآن حلة الكرامة ، ج1، ص552.

[4] أخرجه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الصلاة على الشهيد ، ج ، 1ص192.

المطلب الثاني : العلاقة بين القارئ والنص القرآني :

إن القارئ لا يتمكن من إعطاء النص القرآني حقه إلا بعد تحقق أمرين أساسين ؛ أحدهما متعلق بزمن القراءة ، والثاني يتحقق بعد زمن القراءة ، ويكون ملازما للقارئ في حياته اليومية ؛ الأول وهو القراءة الصحيحة ، وتدبر المعاني، والتأثر بها ، يتعلق بنفسية القارئ ؛ والثاني وهو التزام العمل بما فهم من كتاب الله تعالى ، ويتعلق بجوارحه. وسيأتي بيان ذلك في ما يأتي:

ا)**تأثر القارئ بالنص القرآني :**

يحصل تأثر القارئ بالنص القرآني بعد التدبر وفهم المعنى ، سواء أكان ذلك بسماع الإنسان القرآن ، أم كان قارئا له ، وقد صور لنا القرآن حال الذين يسمعون القرآن ، وموقفهم بعد سماعه ، فقال تعالى على لسان الجن حين سمعته :﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ الجن: ١ – ٢

وقال تعالى ﴿يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ ۝٣٠ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١﴾ الأحقاف: ٣٠ – ٣١

وأثنى القرآن الكريم على الذين يتأثرون بالقرآن بعد سماعهم إياه في قوله تعالى ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨﴾ مريم: ٥٨

وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩﴾ الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩

وقال تعالى في وصف عباد الرحمن ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣﴾الفرقان: ٧٣

وفي السنة مواقف كثيرة تبين كيفية تأثر الرسول – **صلى الله عليه وسلم** – بالقرآن ، وتأثر والصحابة من بعده، ومن ذلك ما روي عنه – **صلى الله عليه وسلم** – من قوله لابن مسعود – **رضي الله عنه** – اقرأ علي القرآن ، فقال ابن مسعود – **رضي الله عنه** – : أأقرؤه عليك وعليك أنزل ؟ فقال– **صلى الله عليه وسلم** – : إني أحب أن أسمعه من غيري فقرأ عليه سورة

النساء حتى إذا بلغ قوله تعالى :﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ النساء: ٤١ قال – **صلى الله عليه وسلم**– : حسبك فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان من البكاء .[1]

بكاء النبي – **صلى الله عليه وسلم** – كان من جراء تأثره بمعاني الآيات التي قرأها عليه عبد الله بن مسعود– **رضي الله عنه**– ؛ ذلك أنه تدبر معانيها ، وعلم ما جاء فيها، فكان تأثره سببا في بكائه.

إن المتدبر للقرآن الكريم يتجاوب معه ؛ فتجده يزن نفسه بميزانه ويقدرها بتقديره ، يحل حلاله ويحرم حرامه، ويأتمر بأمره ، وينتهي عن نهيه ، محاولا التقرب من الجنة بفعله ، ويبتعد عن النار بانتهائه ، وهو ما ترويه أكثر كتب السيرة عن حال النبي – **صلى الله عليه وسلم** – وهو يقرأ القرآن ؛ حيث كان إذا مر بآية الجنة سأل الجنة، وإذا مر بآية فيها النار تعوذ منها ، وإذا مر بآيات الكون تدبر في آلاء الله وتفكر فيها، قال الشيخ الغزالي – **رحمه الله** – وهو يصور حقيقة تأثر النبي – **صلى الله عليه وسلم** – بالقرآن" . . .وأن عقله الظاهر والباطن مع الله عندما يكون الحديث عن الله، ومع الكون سياحة عريضة عندما يكون الحديث عن الكون وقواه وأسراره ، ومع الماضين في الاتعاظ ،والاعتبار بمصارعهم ، ومصائرهم، ومسالكهم ؛عندما يكون الحديث في قصص القرآن ، ومع الآخرة ، والنعيم، والجحيم ؛ عندما يكون القرآن وصفا للجزاء الأخروي ، وما أعد لهؤلاء وأولئك " .[2]

– هكذا كان يتأثر – على المستوى النفسي والعقلي – رسول الله– **صلى الله عليه وسلم** – بالقرآن ، وهو– **عليه السلام** – قدوة كل قارئ ، وقراءته هي القراءة الكاملة المستوفية جميع شروطها وأبعادها .

---

[1] رواه البخاري ، فضائل القرآن ، باب البكاء عند قراءة القرآن ، ج 9 ، ص800.

[2] كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ، ص29.

ب) ظهور أثر القرآن في عمل القارئ :

وذلك بأن يعيش الإنسان حياته كلها تطبيقا لمبادئ القرآن ، وإحياء لسننه ، ووقوفا عند أمره ونهيه ، امتثالا لما مر من حديث عائشة – **رضي الله عنها** – حين سئلت عن أخلاقـه – **صلى الله عليه وسلم** – « كان خلقه القرآن »[1] أي أن أفعاله كلها كانت تعبيرا عن مبادئ القرآن ، وأفعاله ؛ لا تعني أبدا التي تتعلق بالأمر والنهي والحلال والحرام فقط ، وإنما كل ما جاء في القرآن الكريم ، وأمر بتدبره ، والانتفاع منه ،وهو حال الصحابة أيضا فكانوا إذا سمعوا آية بادروا إلى العمل بها بعد فهمها ، سواء تعلق ذلك بالأحكام ، أو بالاعتبار بالقصص ، والأمثال ، أو الجهاد ، أو غيره ، فحولوا آية الجهاد إلى جهاد ، والقصص القرآني إلى اعتبار، ولم يقتصروا في القرآن على البعض دون البعض الآخر ، فعملوا بما جاء فيه كما أنزل ، وجمعوا مبادئه متعلق بعضها ببعض ؛ لا يفصلون التلاوة عن الأحكام، أو الأحكام عن الأخلاق والعقيدة ، والسنن الاجتماعية ، وإن لم يتمكنوا من حفظه كاملا .

وفي روايات الصحابة ما يدل على الإسراع إلى الاعتبار بالقصص القرآني ، وتأثرهم بما يحكيه القرآن من قصص الأولين ، وتخوفهم من أن يدركهم ما أدركهم.

روى ابن كثير – **رحمه الله** – أنه لما نزل قوله تعالى ﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣ ﴾ المائدة: ٦٣ قال ابن عباس – **رضي الله عنه** – : « ما في القرآن أشد توبيخا من هذه الآية ». وروي أيضا عن الضحاك قوله : « ما في القرآن آية أخوف عندي من هذه »[2].

فالآية نزلت توبيخا لأهل الكتاب ، ومع هذا فالصحابة – **رضوان الله عنهم** – تأثروا بما جاء فيها، مخافة أن يدركهم ما أدرك أهل الكتاب ، وتلك هي حقيقة الاعتبار التي تعقب القراءة الصحيحة للقرآن.

---

[1] سبق تخريج الحديث في الصفحة 68 .

[2] يرجع في تفصيل ما ورد في شأن هذه الآية إلى تفسير ابن كثير ، ج 3، ص88.

غير أن المسلمين اليوم أصبحوا يعانون ما يمكن تسميته بالأمية العقلية مع القرآن بعجزهم عن تدبر معانيه، والتعامل مع واقعهم انطلاقا من هديه ، واكتشاف سنة الله في الآفاق والأنفس ، وحسن تسخيرها ومعرفة كيفية التعامل معها استرشادا بنور القرآن ، والانتقال من منطوق النص وظاهره إلى مقصده ومرماه ، والاعتبار بالسنة والعلم بأنها تتكرر ولا تتبدل [1] ، كل هذا كان سببه عدم الانتفاع بما جاء في القرآن الكريم ، لكونهم يقتصرون على القراءة دون الانتفاع بدلالتها ومعانيها ، وهذه الحال هي ما أشار إليها النبي – **صلى الله عليه وسلم** – فيما رواه ابن ماجه عن زياد بن لبيد قال : **ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – شيئا فقال : وذاك أوان ذهاب العلم " قلت :يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ،ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ قال : « ثكلتك أمك زياد إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة ، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء بما فيها ؟ »** .[2]

إن ما يشهده واقع الأمة الإسلامية اليوم في التعامل في قراءة القرآن الكريم هو غياب هذه العلاقة التفاعلية بينها وبين كتابها ؛ ذلك أن اهتمامها انصب على حفظ القرآن دون فهم معانيه ، ومن مظاهر كثرة حفاظه وقلة فقهائه ، قراءته على القبور والأموات ، والإكثار من القراءة دون تدبر المعاني ، فأهمل التدبر بذلك جملة وتفصيلا، وطغى على الأمة الفهم الخرافي والسطحي دون الولوج إلى إدراك حقيقة الألفاظ ، وكنه المعاني بما يخدم الإنسانية ، وما هذه بالقراءة المطلوبة ولا المأمور بها شرعا .

---

[1] ينظر مقدمة عمر عبيد حسنة في كتاب كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ، ص14 . .

[2] رواه ابن ماجه ، ورواه الترمذي في السنن ، وقال : حديث حسن غريب ، ينظر ابن ماجه كتاب الفتن ،" باب ذهاب العلم "، ج 2، ص1344 . ، وسنن الترمذي في كتاب العلم "باب ما جاء في ذهاب العلم "، ج5ص32 .

المطلب الثالث : الفرق بين تفسير القرآن وتأويله :

اختلف العلماء قديما في التفريق بين التفسير والتأويل ، فذهب بعضهم إلى أن التأويل هو التفسير ، وذهب البعض الآخر إلى أن التأويل يقصد منه معنى غير التفسير ، وقبل الحديث عن الفرق بين المفردتين يقتضي الأمر أن نعرف كلا منهما .

1/تعريف التفسير:

ا/ في اللغة : مأخوذ من الفعل الرباعي فسر ، وجدره الثلاثي الفسر ، وهو ما يدل على بيان الشيء وإيضاحه ومنه نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه [1] ومنه أخذت التفسرة ، وهي البول الذي يستدل به الطبيب على المـــــرض، وينظر فيه ، والفسر كشف المغطى ، والتفسير كشف المراد من اللفظ المشكل [2].

– ومنه فالتفسير في اللغة يراد به الكشف والبيان.

ب/ في الاصطلاح :

اختلف العلماء في عد التفسير علما من العلوم ، فذهب البعض إلى أنه ليس علما من العلوم ، لكونه لا يبنى قواعد أو ملكات ناشئة ، وكل ما يمكن أن يعبر عنه هو كونه بيان كلام الله ، أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومدلولاتها[3] ، واعتبره البعض الآخر

---

[1] ينظر مقاييس اللغة ،أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء ،تحقيق وضبط عبد السلام هارون ، المجلد الرابع ،دار الجيل بيروت لبنان ، ط(1411-1991)، م 4 ، مادة فسر ص504 .بتصرف.

[2] ينظر لسان العرب ، ابن منظور ، المجلد 4، مادة فسر ، ص1095 .

[3] ينظر في تفصيل هذه الخلافات في التفسير والمفسرون " بحث تفصيلي عن نشأة التفسير وتطوره وألوانه ومذاهبه ، محمد حسين الذهبي ، دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق عفيفي ، ط2(1376ه-1996م) ، ج1 ، ص17 .

علما لكون مباحثه تؤدي إلى استنباط علوم كثيرة وقواعد كلية ، نزلت منزلة القواعد ، ولكون التفسير لا يخلو من قواعد كلية في أثنائه ، وحق التفسير أن يشمل على بيان أصول التشريع وكلياته ، فكان ذلك حقيقا بأن يسمى علما [1].

وعلى اعتبار الرأي الأخير في عد التفسير علما ، يمكن إيراد بعض التعاريف التي ذكرها العلماء للتفسير:

عرف التفسير بأنه : « علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك »[2].

وعرفه الزركشي بأنه : « علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد – **صلى الله عليه وسلم** – وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه. »[3]

وعرفه الزرقاني بقوله : «علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية " .[4]

يلاحظ في التعريف الأول أنه جعل علم القراءات جزءا من التفسير وذلك عند قوله «علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن » في حين أن التفاسير الأخرى لم تجعل علم القراءات جزءا من التفسير بل حصرته في بيان المعنى .[5]ومما أخذ على

---

[1] ينظر في التفصيل في المسألة ،التحرير والتنوير في المقدمات ، بن عاشور ، ج1 ،ص12 ،13 .

[2] مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، نقلا عن البحر المحيط ، مؤسسة الرسالة ، ط7_1400-1980م ، ص 335.

[3] البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ط (د–ت) ، ج1ص13–14 .

[4] مناهل العرفان ، عبد العظيم الزرقاني ، دار المعرفة بيروت– لبنان ، ط9 (1999) ، ص20 .

[5] اعتبر الدكتور محمد حسين الذهبي علم القراءات والرسم عنصرين أساسين داخلين في التفسير باعتبار أن المعنى يختلف باختلاف القراءتين أو القراءات ومثل لها باختلاف المعنى في قوله تعالى :"وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا "فإن معناها مغاير لقراءة من قرأ"وملكا كبيرا " بفتح الميم وكسر اللام وهو الشأن بالنسبة لاختلاف الرسم الذي يؤدي إلى اختلاف في المعنى وذلك مثل قوله تعالى :" أفمن يمشي سويا على صراط مستقيم فإن الوصل مغير في المعنى بالفصل : " أمن يكون عليهم وكيلا "فالمعنى يختلف .ينظر في تفصيل هذا ،التفسير والمفسرون ، ج1 ، ص15 .

هذا التعريف أيضا أنه أغفل غاية التفسير وهدفه الكلي ،لكونه تحدث عن الأحكام وأغفل الحكمة من التفسير[1].

أما التفسير الذي أورده الإمام بدر الدين الزركشي ، فهو يختلف عن التعريفات الأخرى بكونه جعل التفسير على مستويات ومراحل يمر عليها – حسب ما يتبين من تعريفه – فذكر الفهم لكتاب الله كمرحلة أولى يتطرق إليها الباحث ،ثم أردفه ببيان المعاني التي تنتج عن الفهم ، ثم استخراج الأحكام ، وبيان الحكمة من ذلك.

لذلك اعتبر الدكتور أحمد رحماني أن تعريف الإمام الزركشي أوسع هذه التعاريف وأشملها لكونه تضمن مراحل التفسير ومستوياته[2]، وهي خاصية تفتقد في التعريفات الأخرى.

ونقل حاجي خليفة عن الفناري عن تعريف الزرقاني أن ذكر كلمة علم تنصرف إلى الأصول والقاعدة أو ملكتها، والتفسير ليست له قواعد يتفرع عليها إلا في مواضع نادرة لذلك اختار أن يقال : "علم التفسير معرفة أحوال كلام الله تعالى من حيث القرآنية ، ومن حيث دلالته على ما يعلم أو يظن أن مراد الله سبحانه وتعالى بقدر الطاقة الإنسانية فهذا يتناول أقسام البيان بأسرها ."[3]

وكل هذه التفاسير تكاد تتفق على أن التفسير يعني فهم المراد من كلام الله عز وجل.

---

[1] ينظر بحوث مؤتمر الشريعة في الجامعات ، د/فتحي حسين ملكاوي ، ود/عبد الكريم أبو سل ، عمان ط1المجلد 1 ، ص406.

[2] ينظر التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا ، أحمد رحماني ، منشورات جامعة باتنة ، ص21.

[3] كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة ، مصطفى عبد الله ، اعتنى به محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضـــون ، بيروت لبنان ، ط1(1429ه–2008م) ، م1، ص442–443.

2/تعريف التأويل :

ا/ في اللغة :

التأويل في اللغة مأخوذ من الأَوْل ، وهو الرُجُوعُ ، يقال آلَ الشيءَ يَؤُولُ أَوْلاً ومآلاً رَجَعَ ، وَأَوَلَ الشيءَ رَجعَـــهُ، وَأَوَلْتُ عَنْهُ ارْتَدَدْتُ ، والأَوْلُ الرُجُوعُ ، يقال : طبخت النبيذَ حتى آلَ إلى الثُلُثِ ، أَيْ رَجَعَ [1]، وَأَوَلَ الحُكْمَ إلى أَهْلِهِ إذا رَدَّهُ إليهم ، ويُقال في الدعاء للمُضِلِ أَوَلَ اللهُ عليكَ ؛ إذا رَدَ عليك ضَالَتَكَ ، ويأتي التأويلُ بمعنى العاقِبةُ ، يقال : لاَ تُعَوِلْ علَى الحَسبِ تَعْوِيلاً فتقوى اللهِ أَحْسَنُ تأويلاً ، وقد يأتي بمعنى التَحَرِي والتَوَسُمِ كقولك : تَأَوَلْتُ فِيهِ خَيْراً[2] وقد يأتي بمعنى الرَدُ أيضا .

وتأويل الكلام في اللغة يأتي على معان :

1) أحدها : التقدير والتدبير .

2) ثانيها : التفسير :"ولما يأتهم تأويله " أي لما يكن معهم علم تأويله .

3) ثالثها : يراد به نقل ظاهر الكلام عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ .[3]

وأضاف ابن منصور معنى آخر وهو الجمع والإصلاح ، فكان التأويل بذلك جمع ما أشكل من معان بلفظ واحد لا إشكال فيه ، وقال الليث : " تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه" .[4]

- التأويل في اللغة يأتي على معان مختلفة ، تختلف باختلاف السياق الذي وردت فيه كما تبين من خلال أقوال اللغويين السابقة ، فيأتي التأويل بمعنى الرجوع والرد ، والعودة إذا تعلق بشيء محسوس ، ويأتي بمعنى العاقبة ، والتحري

---

[1] ينظر لسان العرب ، ابن منظور ، ج1، مادة أول ، ص130 .

[2] ينظر أساس البلاغة ، محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق وتقديم ونقل الفهارس : مزيد نعيم ، شوقي الغربي ، مكتبة ناشرون ، ط(2000م)، ص21.

[3] لسان العرب ، ابن منظور،ج1، مادة أول ، ص130 .

[4] ينظر لسان العرب ، ابن منظور، م1، مادة "أول"، ص130-131 .

والتوسم إذا تعلق بشيء معنوي ، أما إذا تعلق بالكلام فيأتي بمعنى التفسير ، أو صرف الكلام عن أصله إلى معنى آخر قبله أو بعده ، أو بمعنى الجمع كما ورد في كلام ابن منصور .

وفي القرآن الكريم ورد التأويل على معان تختلف معانيها باختلاف سياقاتها كذلك وهي على النحو الآتي :

1- حقيقة الأمر[1] في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ آل عمران: ٧

2- العاقبة والجزاء [2] : وردت في قوله تعالى﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: ٥٩ .وقوع المخبر به ، وفسره مجاهد بالجزاء ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴿٥٣﴾ ﴾ الأعراف: ٥٣

3- تفسيرالرؤيا [3] : وذلك في الآيات في سورة يوسف "﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يوسف: ٤

﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ يوسف: ٣٦-4/تأويل الأعمال:ومن ذلك ما ورد في قصة الخضر مع سيدنا موسى –عليه السلام-"﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ الكهف: ٧٨ فالمراد به تأويل الأعمال التي أتى بها الخضر من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار وبيان السبب الحامل عليها ، وليس المراد تأويل الأقوال .[4]

---

[1] ينظر تفسير القرآن ، ابن كثير ، ج 2، ص7 .

[2] ينظر المصدر نفسه ، ج نفسه ، ص208 .

[3] ينظر المصدر نفسه ، ج4، ص227 .

[4] ينظر التفسير والمفسرون ، الذهبي ، ج1 ، ص17 .

ب- في الاصطلاح :

يأتي التأويل عند السلف على معنيين :

أولهـــا : تفسير الكلام وبيان معناه ،سواء أوافق ظاهره أو خالفه ، فيكون التأويل والتفسير على هذا المعنى مترادفين ، وهو ما فهمه العلماء من قول مجاهد "إن العلماء يعلمون تأويله "، يعني القرآن وهو ما أراده الإمام الطبري بقوله "القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا:اختلف أهل التأويل" ، فالمراد به التفسير .

ثانيهـــا : هو نفس المراد بالكلام ، فإن كان طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب ، وإن خبرا كان تأويله نفس المخبر به.[1]

الفرق بين التفسير والتأويل :

اختلف العلماء في تحديد مكمن الفرق بين التفسير والتأويل ، فذهب البعض إلى أن التفسير والتأويل بمعنى واحد ، وإليه ذهب أبو العباس أحمد بن يحي[2] وأبو عبيد [3].

وذهب البعض الآخر إلى أن التفسير يقصد به معنى غير التأويل ،على اختلاف بينهم في تحديد الفرق بين المفهومين، فكانت آراؤهم في تحديد الفرق كما يلي :

قال الراغب : " التفسير أعم من التأويل ؛ ذلك أن التفسير أكثره استعمالا في الألفاظ ، ومفرداتها ، وغريبها والتأويل أكثره استعمالا في المعاني ، والجمل ، وأكثره ما يستعمل في الكتب الإلهية والتفسير فيها "[4]

---

[1] ينظر المرجع نفسه ج1، ص17.

[2] ينظر لسان العرب ، ص130

[3] الإتقان 545.

[4] المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص180.

وقال الماتريدي : " التفسير القطع على أن المراد من اللفظ والشهادة على الله أنه أراد هذا اللفظ ، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح ، وإلا فتفسير بالرأي وهو المعني عنه ، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع

والشهادة على الله " .[1]

وقيل أن التفسير بيان وضع اللفظ : إما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر، والتأويل ينصرف إلى باطن اللفظ مأخوذ من الأول ، وهو الرجوع لعاقبة الأمر ، فيكون التأويل بهذا إخبار عن حقيقة المراد ، والتفسير إخبار عن دليل المراد ، لأن اللفظ يكشف ، والكاشف دليل مثال قوله تعالى﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ الفجر: ١٤ " تفسير من الرصد يقال رصدته رقبته ، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله الغفلة عن الإلهية .

وقال الكواشي والبغوي : " أن التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط والتفسير هو : الكلام في أسباب نزول الآيات وشأنها وقصتها" .[2]

وقيل أن التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية .

وهذا الأخير هو الذي رجحه الذهبي اعتمادا على أن التفسير معناه الكشف عن مراد الله تعالى، لا نجزم به إلا إذ ا ورد عن رسول الله – **صلى الله عليه وسلم** – وعن أصحابه الذين شهدوا الوحي وعلموا ما أحاط به من حوادث ، وخالطوا رسول الله – **صلى الله عليه وسلم** – وترجموا ما أشكل من معاني القرآن ، وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل ، والترجيح يعتمد على الاجتهاد ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستعمالها بحسب السياق ومعرفة الأساليب العربية ، واستنباط المعاني من كل ذلك .

---

[1] الإتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط(1429،1428ه–2008)، ج 1، ص545 .

[2] التفسير والمفسرون ،الذهبي ، ج1 ، ص21.

خلاصة التفريق بين التفسير والتأويل ، أن التفسير هو مراد الله حقيقة ، ومن ذلك ما نقل عن طريق الأثر مما رواه الصحابة عن رسول الله – **صلى الله عليه وسلم**– والتأويل هو ما استنبطه العلماء حسب ما توصلت إليه فهو مهم.

المطلب الرابع : الفرق بين تفسير القرآن وقراءته.

لم يكن هناك فرق بين القراءة والتفسير – في عهد النبي – **صلى الله عليه وسلم** – فكانوا إذا أطلقوا القراءة ، عنوا به تعليم القرآن مع تعلم معناه ، وكان الإقراء عندهم أيضا بمعنى تعلم القرآن مع تعلم معناه ، واستمر هذا الإطلاق إلى عهد الصحابة ومن بعدهم من التابعين ، غير أنه قد ينصرف أحيانا إلى المعنى الظاهر للقراءة وهو ترديد اللفظ ، ومما يدل على أن لفظ القراءة في ذلك الوقت كان يطلق على التفسير ، ما نقل إلينا من القراءات التي نسبت إلى بعض الصحابة لكونهم تفردوا بها ، وكون بعض الألفاظ زائدة فيها على القراءات المشهورة ، مثل قراءة ابن مسعود وقراءة أبي – **رضي الله عنهما**– وغيرها ؛ حيث اعتبرت هذه الزيادات تفسيرات أضافها هؤلاء الصحابة لتوضيح المعنى عند إقرائهم القرآن ، وتعليمه لغيرهم ، مما يدل على أنهم كانوا يعلمون الناس معاني القرآن كما يعلمونه ألفاظه ، واصطلاح القراءة عندهم كان يعني تعلم الألفاظ مع تعلم معانيها .

إطلاق لفظ القراءة عندهم كان يطلق على التفسير كما يطلق على القراءة ، غير أنه في الوقت الحالي إذا أطلق لفـظ القراءة ، فإنه يعنى به التلفظ بالقراءة ولا يتعداه إلى غيره ، وفرق أحد الباحثين بين المصطلحين اعتمادا على نقطتين هما :

1/ الاختلاف المنهجي بينهما ؛ فما يدخل تحت اسم القراءة من دراسة يختلف عما عرف من منهج للتفسير .

2/ أن تسمية القرآن بهذا الاسم تحمل دلالة للواجب نحوه وهو القراءة ، وهي ليست مجرد تلاوة لفظية ونطق لسان ، إنما تشمل التدبر ، والفهم ، والمعنى اللغوي للقراءة هو الجمع لكل شيء ، فقراءة القرآن جمع له ، ولا معنى لجمع النص إلا إدراك معانيه من متفرق ألفاظه المتسقة فيه[1].

إن ما اعتمده في التفريق بين المصطلحين في المعنى الأول قد يكون وجيها في ضبط التفريق بينهما ، أما الفرق الثاني الذي ذكره ففيه نظر ؛ ذلك أن ما اعتمده من أن القراءة تعني التدبر والفهم والجمع وإدراك المعني من متسق الألفاظ قد يخرج نوعا من أنواع التفاسير الحديثة عن كونه تفسيرا ، وهو التفسير الموضوعي فما ذكره في خصائص القراءة لا يختلف عما يعتمده هذا النوع من التفسير أيضا .فهذه الخصائص قد يعتمدها التفسير كما تعتمدها القراءة ولا تفريق بينهما من هذه الناحية.

ولعله إنما أراد بهذا أن يفرق بين التفسير وبين ما يسمى حديثا بالقراءات المعاصرة للقرآن الكريم. وهذا يستفاد من مبرر الاختلاف الذي ذكره في الأول وهو الاختلاف في المنهج بين التفسير والقراءة .

وللوقوف على الفرق بين التفسير والقراءة يقتضي الأمر التفريق بينهما من حيث النظر في تعريف كل منهما .

إذا ما دقق النظر في التعريف الاصطلاحي لكل من التفسير والقراءة ، لوحظ أن كلا منهما ينصرف إلى فهم معاني النص ، والانتفاع بأحكامه وحكمه ؛ فالقراءة تفاعل مع النص المقروء ، والتصرف في المواقف على هدى المقروء ، والتفسير الوقوف على المعنى ، واستخلاص أهم الأحكام ، والوقوف على الحكم لنفع الأمة .

ومكمن الفرق بينهما يتحدد في كون التفسير علم له أصوله ، وقواعده ، ومناهجه التي يعتمد عليها، والقراءة شيء غير ذلك ، فمثلا ما يسمى حديثا بالقراءات المعاصرة للقرآن الكريم لا تعتمد في منهجها على أصول التفسير وقواعده من أسباب النزول ، و علم المناسبة ، وغيرها من علوم القرآن التي جعلها العلماء كشرط أساس في التفسير ، ومن ثمة فإن تسمية هذه القراءات من قبيل التفسير أمرقد يكون فيه نوع من التجوز .

[1] ينظر بنية القرآن كمدخل لإعادة القراءة ، عبد الرحمن حللي ، مقال ، موقع الإبداع الفكري ، تاريخ الدخول : 2008/18/29م.ص2.

والفرق في التفريق بين المصطلحين في الوقت الحاضر ، وعدم التفريق بينهما في عهد الصحابة واضح في طبيعة البيئة التي عاشها الصحابة ؛ ذلك أن الصحابة شهدوا النزول وأخذوا عن النبي – **صلى الله عليه وسلم** – فلا حاجة في أن يعتمدوا على قواعد في تفسير الآيات ، أما الآن فلا مناص من اعتمادها كأساس في فهم القرآن .

بناء على ما سبق ، فالتفسير شيء غير القراءة المعاصرة ، أما القراءة – كما أردتها – ، فهي تشمل فهم المعنى ، وهو العلم بالتفسير ، وليس ممارسته ، أي أخذ القارئ بقدر ما استطاع من معاني القرآن ، ولا يقصد القارئ شرح هذه المعاني لغيره ، وهو فعل التفسير ، ومن هذه الناحية يختلف فعل القراءة – كما ذهبت إليه – عن فعل التفسير ، فالأول مطلوب من كل مسلم قارئ للقرآن ، والثاني هو عمل أهل العلم.

المبحث الثاني : قراءة الكون في القرآن الكريم :

إن المتدبر للقرآن الكريم كثيرا ما يجده يوجه الذهن للتأمل والنظر في الآيات الكونية ، والتأمل في الخلق ، بأساليب تهز الكيان ، وتستثير العقول ، وتستفز النفوس ، فاقتضى الأمر بالباحثة التعريف بالكون بغية الإحاطة بالمعنى الكامل له ، ومعرفة أهم الأساليب التي وجه بها القرآن النظر في الكون ، والبحث عن أهميته وسبب هذا الإلحاح عليه – وذلك في القرآن الكريم تحديدا – وهذ ما ستحاول الباحثة بيانه في المطالب الآتية :

المطلب الأول : تعريف الكون :

1/الكون في اللغة :

الكَوْنُ في اللغة : الحَدَثُ ، وَقَدْ كَانَ كَوْناً وَكَيْنُونَةً ، والكَائِنَةُ الحَادِثَةُ ، وحكى سيبويه : أَنَا عَرَفْتُكَ مُذْ كُنْتَ، أَيْ مُذْ خُلِقْتَ ، وقال ابن الأعرابي : التَكَوُّنُ التَحَرُّكُ .[1]وذكر الرازي في المختار : أن الفعل كان إذا جعلته عبارة عن زمن ماض فهو ناقص احتاج إلى غيره لكونه دل على الزمان فقط ، تقول كان زيدا عالما، أما إذا جعلته عبارة عن زمن وقوع الشـــيء أو حدوثـه ، فإنه يستغني عن الخبر لأنه دل على معنى وزمان ، كقولك : أنا أعرفه مذ كان ، أي مذ خلق ، وقد تأتي زائدة فتفيد التأكيد كقولك : كان زيد منطلقا ، يعني زيد منطق ،[2] كما في قولـــه تعـــالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ النساء: ١٠٠

- وخلاصة الأمر أن الكون عند أهل اللغة مأخوذ من الفعل الماضي كان ، وهو بمعنى حدث. أي حدوث الشيء .

2/الكون في الاصطلاح :

الكون في القرآن : هو إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود [3]. جاء في القرآن قوله تعالى :﴿ ... إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ آل عمران: ٤٧ . ومعناه أن الله تعالى يحكم بكون الأمر فيكونه . قال ابن كثير : « فلا يتأخر شيئا ، بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة،كقوله تعالى :

---

[1] يرجع في تفصيل هذا إلى لسان العرب ، ابن منظور ، م13 ، مادة كون ، ص(363-364-365-366367) .

[2] ينظر مختار الصحاح ، الرازي ، الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، عني بترتيبه : محمود خاطر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ، ط(1426،1425ه-2005م)، مادة كون ، ص481

[3] الإنسان والكون في القرآن ، أبو الوفاء الغنيمي التفتزاني ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط(1995م) ص35.

﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ القمر: ٥٠ أي إنما نأمره مرة لا مثنوية فيها فيكون ذلك الشيء سريعا كلمح البصر »"[1].

وقيل في معناه أيضا : « أنه إذا قدر أمرا ، وأراد كونه ،فإنما يقول له :كن ،أي مرة واحدة ،فيكون ، أي فيوجد على وفق ما أراد » .[2]

والكون في عرف الحكماء مقابل للفساد ، وقيل بأن الكون والفساد عندهم يطلق بالاشتراك على معنيين : الأول : حدوث صورة نوعية ، وزوال صورة أخرى عنه ، والثاني : الوجود بعد العدم ، والعدم بعد الوجود ، و قيل بأنه هو والثبوت ، والوجـود ، والتحقق ألفاظ مترادفة ، والثبوت عند المعتزلة أعم منه .[3]

أما عند المتكلمين فهو مرادف لمعنى الوجود .[4] وذكر الجرجاني في التعريفات ، والبستاني في المحيط : أن الكون عند أهل التحقيق : « عبارة عن وجود العالم كله من حيث هو عالم ، لا من حيث أنه حق »[5]، وهو عند الفلاسفة يرادف الوجود المطلق

---

[1] ينظر تفسير القرآن ، ابن كثير ، ج2 ، ص26.

[2] المصدر نفسه ، ج 1، ص193.

[3] ينظر محيط المحيط ، بطرس البستاني ، مكتبة ناشرون ، ط(1997-1998) . ، مادة كون ، ص(7798-799).

[4] ينظر مناهج الكشف عن الأدلة في عقائد الملة ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي ، قدم له وعلق عليه أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1(1423ه-2002م) .ص42-43-44.45.

[5] التعريفات الجرجاني ، مادة كون ، ص ، محيط المحيط ، بطرس البستاني ، مكتبة ناشرون لبنان ، ط(14 . .-1996-8 .) جديدة مطابع ،مادة كون ، ص (798-799) .

العام ، وهو بمعنى المكون عندهم .[1]

وعرفه أحد الباحثين[2] بعد جمعه لهذه التعريفات بأنه : « جميع ما تكون بالقدرة الإلهية في الزمان والمكان من حيث الموجودات على اختلافها بعد إن لم تكن موجودة » .[3]

أما الكون في التراث الفلسفي الأوروبي : فيعني مجموع الموجودات أو مجموع ما يوجد في الزمان والمكان . وعند الفيلسوف ليتيز هو جملة الأشياء الموجودة ، وإن كان ثمة عوالم يمكن أن توجد في أزمنة مختلفة أو أمكنة مختلفة،فإنه يمكن اعتبارها جميعا عالما واحدا ، أو كونا ،وقد يطلق مجازا على العالم المرئي ، أو ما يسمى عند المسلمين بعالم الشهادة .[4]

وقيل أن الكون هو مجال ومكان وزمان الحياة لكل ذرة ومجرة في الكون يحتاجها الإنسان.[5]

- يستخلص من جميع ما قيل في الكون أنه : جميع الأشياء الموجودة من نبات أو حيوان أو جماد أو غيره،أو بعبارة أدق هو جميع ما تكون بالقدرة الإلهية.ويشمل النبات والحيوان والجماد وغيرها .

ويقابله في التراث الإسلامي (العالم) وهو ما سوى الله تعالى من الموجودات .

وهو ما أريد بحثه والتدليل عليه في صفحات هذا البحث من منظور القرآن الكريم.

المطلب الثاني : دعوة القرآن إلى قراءة الكون :

قبل الحديث عن دعوة القرآن إلى قراءة الكون والنظر إليه استدعى الأمر أن تعرج الباحثة قليلا على دراسة الكون قبل عصر الرسالة وكيف كانت دراسته من قبل الأمم السابقة .

---

[1] ينظر الإنسان والكون في الإسلام ، أبو الوفاء الغنيمي ، ص35.

[2] أبو الوفاء الغنيمي.

[3] المرجع نفسه ، من الصفحة نفسها .

[4] ينظر المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[5] ينظر نظرات في الكون و القرآن ، ص65.

لقد بدأ التفكير في آيات الله الكونية قبل الإسلام وقبل نزول الرسالة المحمدية ، وهو ما يؤكده القرآن الكريم في معرض حديثه عن قصة إبراهيم – عليه السلام – وبحثه عن الحقيقة الإلهية ، وعن خالق هذا الكون ؛ فقوم إبراهيم كانوا يعبدون القمر من دون الله ، في حين أن إبراهيم – عليه السلام – اشتغل بالنظر في الكون ، وتدبر آياته، بحثا عن الحقيقة الإلهية ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الأنعام: ٧٥ – ٧٨ وكذلك كان الشأن بالنسبة لقوم بلقيس الذين جعلتهم نظرتهم للآيات الكونية يعبدون الشمس والقمر ، ويؤلهونها من دون الله تعالى . قال تعالى على لسان الهدهد :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ النمل: ٢٤ فنظرة إبراهيم – **عليه السلام** – للكون تمثلت في قراءة له بغية التعرف على خالق الكون ، وقد تمكن من الوصول إليه بالفعل ، وهو ما جاء في القرآن الكريم على لسانه عليه السلام بعد أن يئس من هذه الكواكب التي تظهر حينا ، وتختفي أحيانا أخرى ، فأقر بالحقيقة قائلا : ﴿ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأنعام: ٧٩ وقد يسر الله تعالى لعبده ورسوله محمد –**صلى الله عليه وسلم** – أن ينظر في بناء الكون ؛ فخلق له كل شيء ابتداء من أدق الأشياء ، وأصغرها ، وانتهاء بأكبرها الذي هو الكون في جملته وتفصيله ،وتناسقه العجيب، فكان ذلك بيانا لآياته الكونية [1]

وقد كان تعبد الرسول – **صلى الله عليه وسلم** – في غار حراء قراءة كونية ، شأنه شأن سيدنا إبراهيم – **عليه السلام** – ، يبحث عن حقيقة خالق الكون ومبدعه ، إلى أن أمره الله تعالى بالقراءة بعد إن كانت قراءته قراءة فطرية ، فكان أول ما نزل من الوحي قوله تعالى﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ العلق: ١ .

عندها شاءت قدرة الله ألا يجعل انغماس الإنسان في النظر للكون طريقه الوحيد للتعرف عليه والإيمان به ،

---

[1] ينظر تفسير النبي –– صلى الله عليه وسلم – للقرآن ، محمد عفيفي ، ص166 .

وألا يأخذه بهذه الفطرة التي أخذها على بني آدم ، وإنما أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين .[1]

وفي القرآن الكريم كثير ما يوجه المولى جل وعلا القلب إلى الكون المشهود بشتى الأساليب ، في شتى المواضيع؛ تارة بالتوجيهات المباشرة ، وتارة أخرى بغيرها ، فيقسم بالخلائق والمشاهد فيضعها إطارا لما يليق بها من الحقائق[2] .

وقد تنوع القرآن في عرضه لسور الكون فيعطي لنا أحيانا صورة شاملة ، فيعبر عنها بملكوت السموات والأرض ، ويورده أحيانا أخرى بسورة مفصلة كما جاء في سورة النحل في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٤ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ ﴾ النحل: ٣ – ٥ ثم تتوالى الآيات في ذلك فيقول الله تعالى :﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣ ﴾ النحل: ١٣ ويقول تعالى في مواضع أخرى ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٤١ ﴾ الرعد: ٤١ ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠ ﴾ يس: ٣٨ – ٤٠ ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ۝٤٨ ﴾ الذاريات: ٤٨

فالآيات الكونية في القرآن الكريم موضع تأمل وتدبر ، تستعمل في ميدانه الحواس الإنسانية من الرؤية ، والسمع، والبصر لتعين العقل في التعرف على الحقائق والسنن ، لذلك كثيراً ما يستعمل القرآن في معرض حديثه عن الكون وحقائقه الألفاظ الدالة على الحواس ، والتفكير في مطالع الآيات وخواتيمها " انظروا ، أفلا ينظرون ، أفلا تبصرون أولم يروا ، يبصرون ، يسمعون ، يتفكروا ، يعقلون ، يعلمون . . . " وفي هذا توجيه للإنسان وتحريض له بأن يستعمل عقله وحواسه للملاحظة والتفكير فالاستنتاج[3] .

---

[1] ينظر في ظلال القرآن ، ج 4 ، ص2217.

[2] ينظر المصدر نفسه ، ج 6 ، ص39.

[3] ينظر نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث ، محمد المبارك ،الضياء للإنتاج الإعلامي والتوزيع ط(د،ط) ،ص20.

إضافة إلى ذلك فالمتتبع للآيات الكونية في القرآن الكريم ، يجده يكثر استعمال صيغة الفعل الدالة على التفاعل ، وحسن التصوير ، والتشخيص ،مما يدل على إثارة الحماس ، وإيقاظ الحواس ، في ذلك ، وهذا أمر ظاهر جلي في الكثير من الآيات،ومن ذلك قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ﴾ الحج: ٦١ ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يس: ٤٠ ولم يكتف القرآن الكريم بسرد هذه الحقائق بمختلف الأنواع ، ولا بإثارة الحواس بمختلف الأساليب فحسب ، بل أنه ذم المعرضين عن آياته الكونية ، وهذا ما يلمسه القارئ في هذه الآيات ،منها قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ يونس: ٧ نقل ابن كثير عن الحسن في تفسير هذه الآية قوله : والله ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها وعم غافلون عن آيات الله الكونية ، فلا يتفكرون فيها ، و الشرعية فلا يأتمرون بها ، فإنما مأواهم يوم معادهم النار جزاء بما كانوا يكسبون في دنياهم من الأيام . . .مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر[1] الآخر[1]

وجاء في سورة يوسف قوله تعالى:﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ يوسف: ١٠٥ قال سيد قطب :في تفسير هذه الآية « وهذه الآيات معروضة للأبصار، والبصائر ويمرون عليها صباح ، مساء ، آناء الليل وأطراف النهار، وهي ناطقة ، تكاد تدعو الناس ، بارزة تواجه العيون ، لكنهم لا يرونها ولا يحسون بها [2].

وقال القرطبي في قوله تعالى ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٥ . عجب من إعراضهم عن النظر في آياته ليعرفوا كمال قدرته »[3]

---

[1] ينظر تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج 4، ص 143-144 .

[2] ينظر في الظلال ، ج\4 ، ص2036

[3] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، م1، ص330 .

وما يؤكد هذه الأهمية هو ما ترويه كتب التفسير والسيرة أن الرسول –**صلى الله عليه وسلم**–قال في مناسبة نزول قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠ – ١٩١ « ويل لمن لاكها بين لحييه ولم يتدبر »[1]

ومما يزيد تأكيد هذه الأهمية هو ما روي في مناسبة نزول هذه الآية عن حال النبي–**صلى الله عليه وسلم** : أن عائشة – **رضي الله عنها** – لما سئلت عن أعجب شيء رأته من رسول الله – **صلى الله عليه وسلم**– قالت : كان أمره كله عجبا أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ، ثم قال : ذريني أتعبد لربي عز وجل ، قالت فقلت : وإني لأحب قربك وإني أحب أن تعبد لربك ، فقام إلى القربة فتوضأ ؛ ولم يكثر صب الماء ، ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم صعد فبكى حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه فبكى ، حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال بلال : يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟فقال : ويحك يا بلال ما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي هذه الليلة ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠ – ١٩١ ثم قال: « ويل لمن لاكها بين لحييه ولم يتدبر .[2]

يدل هذا التوجيه للكون الذي عرضه القرآن الكريم بمختلف الأساليب ، وهذا التشديد والوعيد من رسول الله – **صلى الله عليه وسلم**– دلالة قاطعة على أهمية النظر في الكون والتأمل في آياته ، وكشف أسراره.

وقد جعل الله تعالى معرفته ، والحفاظ على حرماته مربوطين بقراءة الكون والتفكر فيه ، فعندما يقول الحق سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ التغابن: ٢ فإننا نجد تناقضاً كثيراً في تعاملنا

---

[1] يرجع في تفصيل هذا إلى تفسير القرآن ، ابن كثير ، ج 2، ص ، ورواها ابن حبان في الصحيح.

[2] خرج في الصفحة السابقة.

مع هذه الآيات في واقعنا ؛ إذ يمشي الكافر بين المخلوقات وهو يسبر أغوارها ، ويتعرف أسرارها فيجيد استخدامها ، في حين يمشي المؤمن فيها، وهو لا يكاد يفقه منها حديثا أو يحسن صنعا .[1]

- إن هذا الإصرار من القرآن الكريم ، وحثه البالغ على النظر في الكون ، ليؤكد حقيقة كون قراءته فريضة إسلامية ، واجبة في حق كل مسلم.

المطلب الثالث : أهمية قراءة الكون .

أمر الله سبحانه وتعالى عباده بقراءة الكون ، والنظر في آياته ، وتدبرها ، وكان الشرف في ذلك للأمة الإسلامية بأن أمرت بهذا الأمر الرباني العظيم ؛ فلم تكن كالأمم السابقة التي تخشى النظر في الكون ، وتعرض عن الانتفاع بما فيه ، ولم تكن كذلك من الأمم التي جالت في أسرار الكون ، وانتفعت بما فيه ، وغالت بالنظر فيه حتى اتخذت منه إلها لها * فقد خاطبها الله سبحانه وتعالى بذلك في حين أن أهل الكتاب كانوا متخفين في تقاليدهم وسيرتهم العملية على أن العقل والعلم ضدان لا يجتمعان ، والعلم والدين خصمان لا يتفقان ، وأن جميع ما يستنتجه العقل خارجا عن نص الكتاب فهو باطل ،ولذلك جاء القرآن يلح أشد الإلحاح بالنظر العلمي والتفكر والتدبر والتذكر ، فلا تقرأ منه قليلا إلا وتراه يعرض عليك الأكوان ، ويأمرك بالنظر فيها واستخراج أسرارها ، واستجلاء حكم اتفاقها واختلافها ، وإكثار القرآن من ذلك دليل على تعظيم شأنه ووجوب الاهتمام به *[2] من ثمة بات من اللازم التعرف على أهمية الكون ، وسبب اهتمام القرآن الكريم بالنظر فيه ، والذي يظهر من خلال تصفح آي القرآن الكريم ، أن أهمية قراءة الكون تتجلى في نقطتين أساسيتين هما:

أ) معرفة الله تعالى .

ب) تمكين الإنسان من الانتفاع بما سخر له في الكون .

وسأبين هاتين النقطتين من خلال ما ورد في القرآن الكريم :

---

[1] ينظر ، الطريق من هنا ، محمد الغزالي ، ص21.

[2] ينظر تفسير المنار ، رشيد رضا ، ج1(ص249-250) .

ا/معرفة الله تعالى:

كان الكون طريقا لمعرفة الله تعالى منذ القدم كما مر ذكره سابقا في قصة سيدنا إبراهيم –**عليه السلام**، وهو ما حدث مع النبي– **صلى الله عليه وسلم** – وهو يتعبد في غراء حراء ؛ ذلك أن قراءة الكون وتأمله ، والبحث في أسراره ، يجعل الإنسان المتأمل يبحث عن حقيقة خالقه ، وهو ما أشارت إليه الكثير من الآيات التي جعلت الكون سببا في إثبات الوجود والوحدانية لله تعالى منها : قوله تعالى ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٤. ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ الأعراف: ١٩١

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ فاطر: ٤٠ أي أن لله تعالى آثارا تدل عليه ، وهي مبثوثة في الأرض كما يراها الخلق جميعا ، فهل لكم شركاء في السماوات ، وإن كانت فأين آثارهم ؟[1]

كما أن الكون هو طريق لإثبات الوحدانية لله تعالى لما فيه من إبداع صنع ، وتناسق ، وانسجام بين أجزائه وآياته ؛ إذ لا يستقيم الأمر في التناسق لو كان الخالق متعددا ،ويتجلى هذا واضحا في كثير من الآيات التي تدل على أن الكون طريق لإثبات الوحدانية منها :

قال تعالى :﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٢. ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ آل عمران: ٤٧

وقال تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المؤمنون: ٩١

[1] ينظر أسرار الكون في القرآن ، ص245.

في الآية رد على من يضع آلهة كثيرة مختلفة الأفعال ، ويلزم منها أن يكون ما تخلقه شيئا واحدا ، ولما كان العلم واحدا ، وجب أن يكون الإله واحدا أيضا .[1]

تبين هذه الآيات كلها أن الكون طريق الإيمان ، وإثبات الوحدانية ، فالله سبحانه وتعالى جعل ما بثه في الكون من أسرار الوجود ، والخلق دليلا ، وبرهانا على وجوده ، ووحدانيته ؛ فهو يعرض آياته الكونية ، وخلقه البديع ، وتدبيره المحكم ، ثم يذيل ذلك بإثبات وحدانيته ، وكلما تأمل العقل السليم في أسرار الكون ، ونظامه المحكم البديع ، يدرك يقينا أن ثمة صانعا مبدعا ، وخالقا ، لأنه لابد للأثر من مؤثر ولا بد للمصنوع من صانع يقف وراءه ، لهذا كان سيدنا إبراهيم – **عليه السلام** – يقلب بصره يمينا وشمالا ، واختبر عناصر الكون بما فيها من شمس وقمر، حتى اهتدى إلى خالقه وآمن بوحدانيته ، كما ورد في التاريخ عن قصة الأعرابي قديما الذي استعمل الفطرة في الوصول إلى الدليل ؛ بحيث بنى النتائج التي رآها على مقدمات بعباراته الشهيرة « البعر يدل على البعير ،والأثر يدل على المسير ، أسماء ذات أبراج،وأرض ذات أبراج ،أفلا يدل الكون على اللطيف الخبير؟» .

ويصور ابن عطاء الله السكندري هذه الحقيقة في حكمه إذ يقول :"لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود إبصار"[2] أي أن كل ما وجد في الكون من إبداع وصنع يؤكد حقيقة وجود الصانع ، ويثبت وحدانيته . قال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي : « إن ما نراه من حقائق الكون كلها إنما هو فيض عن حقيقة كبرى واحدة، ألا وهي ذات الله عز وجل »[3]

فالكون من ذلك هو طريق لمعرفة الله تعالى.

2) تمكين الإنسان من الانتفاع بما في الكون :

أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في مواضع متعددة ، وعبر عنه بلفظ التسخير، والتسخير في اللغة يعني التذليل ، وقد عبر عنه القرآن بهذا المعنى إذ يقول تعالى ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ**

---

[1] ينظر مناهج الكشف عن الأدلة ، ابن رشد ، ص 47.

[2] ينظر الحكم العطائية ، شرح وتحليل ، د/ محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر المعاصر بيروت ، دار الفكر دمشق ، ط(1424–ه–2003م) ج 3، ص.

[3] كبرى اليقينيات الكونية "وجود الخلق ووظيفة المخلوق "د/محمد سعيد رمضان البوطي ، الملكية للإعلام والنشر دار الفكر ،ط(1389ه–1402ه) .ص77 .

ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ الملك: ١٥ . تتحدث الآية عن نعمة الله تعالى في تسير الأرض له وتذليله إياها له؛ بأن جعلها ساكنة ؛لا تميد ، ولا تضطرب ، وجعل له فيها الجبال والعيون ، وأنبع فيها العيون ، وهيأ فيها ما يخص الإنسان من المنافع[1].

وكل ما في الكون مسخر للإنسان مذلل له ، فقط ينبغي على الإنسان أن يحسن صورة الانتفاع به ، ومن أنواع التسخير للكون في القرآن الكريم ما يلي:

تسخير ما في السماوات والأرض : جاء في قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ لقمان: ٢٠ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ الجاثية: ١٣ قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ الحج: ٦٥ يذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات بنعمه ، وفضله على عباده بتسخير ما في السموات ، وما في الأرض جميعا ، برا وبحرا ، وبالانتفاع بما في سطح الأرض بحرا ، ويابسا ، ونهرا وفلك ، وأنه يمسك السماء أن تقع الأرض إلا بإذنه.[2]

كل هذا من لطفه وكرمه جلت قدرته.

تسخير البحار والفلك : وذلك في قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٢ يذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عباده بخلق السموات والأرض ، وإنزال الماء ، وإخراج الثمرات رزقا لهم ، وتسخير الشمس ، والقمر، والفلك التي تجري في البحر بأمره وقدرته[3]. ثم ختم الآية بالتذكير بنعمته ووصفها بكونها لا تعد لا تحصى.

---

[1] ينظر تفسير القرآن ، ابن كثير ، ج 8 ، ص115.

[2] ينظر نظرات في الكون والقرآن ، ص154.

[3] ينظر المرجع نفسه من الصفحة نفسها .

تسخير الزمان والشمس والقمر والنجوم :جاء في قوله ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ النحل: ١٢ خلق الله سبحانه وتعالى الشمس ، والقمر والنجوم ، وأمر بالانتفاع منها ، فأمر بالانتفاع بالزمن كأهم مصدر يملكه الإنسان في حياته ، وأمر الإنسان أن يقضي وقته فيما ينفع ، وأمره بالانتفاع بالشمس ؛ بأن جعلها مصدرا للطاقة الحرارية والضوئية وعلامة على معرفة الفصول والشهور، وتقسيم الوقت خلال النهار ، وبالنجوم بكونها أساسا مرجعيا للتقويم .

تسخير ما في البحر :قال تعالى ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ الجاثية: ١٢ قَالَ تَعَالَى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ النحل: ١٤ يعدد الله تعالى في هذه الآيات التي سيقت في معنى التسخير نعمه على خلقه،بأن خلق لهم السموات سقفا محفوظا بما سخر فيها ، والأرض فراشا ، وما أنبيت فيها من منافع ، وسخر فيها من فلك ، و ما أجرى فيها من بحار[1] .

لفت الله سبحانه وتعالى أنظار عباده بما سخر لهم في البحر بما يجري عليه وبما ينبت فيه ،وبما سكن فيه ، استنهاضا لهممهم ، وتحفيزا لهم للسعي في استخراج الأكل ، والنبات ، والملبس ، والمعادن ،وهذا هو مكمن التكليف بالابتغاء من فضل الله .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أنواعا كثيرة من التسخير ، اقتصرت في البحث على بعضها ، طلبا للاختصار.

وكل هذه الأنواع من التسخير خلقت لفائدة الإنسان لينتفع بها ، فعلاقة الإنسان بالكون هي علاقة تفاعلية بين الخليفة (الإنسان) بما سخر له في هذا الكون حتى يحقق العمارة والاستخلاف .

– أهمية قراءة الكون تظهر في شيئين اثنين :

أولاً : تحقيق الوحدانية لله تعالى والإيمان بوجوده .

---

[1] ينظر تفسير القرآن ، ابن كثير ، ج4 ، ص293.

ثانياً : الانتفاع بما خلق في الكون من أجل تحقيق العمارة والاستخلاف.

وهذان الأمران مرتبطان ببعضهما ولا ينبغي الفصل ؛ إذ لا ينبغي للإنسان أن يعكف عن الكون ، ويقف عند متعه ، وما سخر له فيه ، ولا يتخذ من التمتع غاية،كما لا يحق له أن يعرض عنه ، لكن ينبغي أن يتخذ من نشاطه فيه ، وتمتعه بما فيه من النعم والخيرات طريقا إلى معرفة خالقه ، ومستخلفه في هذا الكون .[1]

قال الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله – : « إن دراسة الكون نهج قرآني واضح لبناء الإيمان أولا ، ولدعمه ثانيا ، ولنافع البشر و مشاغلهم ثالثا . » [2].

وقال في معناه أيضا : « التدين الحقيقي إيمان بالله العظيم ، وشعور بالخلافة في الأرض ، وتطلع إلى السيادة التي اقتضتها هذه الخلافة ".[3] وينبه في موضع آخر عن أهمية الكون ، وعاقبة الإعراض عنه فيقول : " الذهول عن الكون سقوط إنساني ذريع وحجاب عن الله غليظ ، وفشل في أداء رسالتنا التي خلقنا من أجلها ، وعجز عن التجاوب مع وصايا القرآن التي تكررت في عشرات السور » .[4]

إن قراءة الكون والتأمل في أسراره سبب في بعث الإيمان في النفوس ، وطريق إلى معرفة الخالق جل وعلا ، كما أنها سبيل لتحقيق العمارة والاستخلاف في الأرض ، إذا تمكن الإنسان بما فيه من الخيرات ، لذلك كان النظر فيه واجب إسلامي في حق كل مسلم بقدر ما استطاع .

---

[1] ينظر نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث ، محمد المبارك ، ص254.

[2] المحاور الخمسة للقرآن ، محمد الغزالي ، دار الفكر دمشق ، ط4(1426ه–2005) ، ص74.

[3] ينظر ركائز الإيمان بين العقل والقلب ، محمد الغزالي ، ص29.

[4] المحاور الخمسة للقرآن ، محمد الغزالي ، ص56.

المبحث الثالث : العلاقة بين الوحي والكون في القرآن الكريم.

يكتشف المتدبر لأي القرآن الكريم أن الله أن الله عز وجل في كثير من الآيات يوازي بين الكون والقرآن ، وبمختلف الأساليب ، ومن مظاهر ذلك ما تبينه المطالب الآتية:

المطلب الأول : الحديث عن البركة ، وامتداد النعم في كل منهما :

يجد المتدبر لآي القرآن الكريم أن الله تعالى يجعل القرآن الكريم يوازي الكون ويقابله ؛ بحيث أنه إذا وضع أحدهما في كفة ، والآخر في كفة أخرى ، تبين أن كليهما يصدر من مصدر واحد ، فالكون خلق الله ، والقرآن كلامه ؛ ذلك أن الله تعالى عندما تحدث عن بركته ، وامتداد نعمته ، ذكر القرآن مرة ، وذكر الكون مرة أخرى ، فقال تعالى في مطلع سورة الفرقان ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾

يمجد الله تعالى نفسه الكريمة في هذه الآيات ، ويخبر بأنه نزل الفرقان على عبده ، وبأنه بيده الملك.[1]

ولما أراد الله تعالى أن يذكر أنه من أهل الحمد والثناء ، حمد نفسه على إنزال الكتاب مرة ، وحمد نفسه على خلق الكون مرة أخرى[2] فقال تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ ﴾ الأنعام: ١ _[1]". وقال في مطلع سورة الكهف﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ ﴾ الكهف: ١

يمدح الله تعالى في الآيتين نفسه الكريمة ، ويحمدها على خلقه السموات والأرض قرارا لعباده ، وعلى إنزال كتابه العزيز على رسوله – صلوات الله عليه– وهي أفضل ، وأعظم نعمة أنعم بها على عباده.[3]

وهناك شيء آخر يستدعي الوقوف عنده هو سياق هذه الآيات التي تشير إلى أن الله تعالى جعل كلا من القرآن والكون دليلا على وحدانيته ؛ إذ أنه كلما ذكر الحمد والثناء في هذه المواضع ، أردفه بنفي الشرك والشركاء .قال تعالى في سياق سورة

---

[1] ينظر تفسير القرآن ، ابن كثير ، ج3 ، ص95.

[2] ينظر كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ، ص210.

[3] تفسير القرآن ، ابن كثير ، ج 3، ص95 ، ج6 ، ص4.

الفرقان :﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٣ ﴾ الفرقان: ١ – ٣ وقال تعالى في سياق سورة الكهف:﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ ﴾ الكهف: ٤

وقال في سياق سورة الأنعام﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ ﴾ الأنعام: ١ .

قال ابن كثير : " أي ومع هذا كله كفر به بعض عباده ، وجعل له شركا . . .واتخذ له صاحبة وولدا ".[1]

يدل سياق هذه الآيات على أنها تعبر عن المعنى نفسه ،وهو إثبات الوحدانية لله تعالى.

وخلاصة الأمر في ما سبق التفصيل فيه أن الكون والقرآن نعمتان من نعم الله تعالى التي من بها على عباده ؛من عليهم بأن أنزل القرآن على عبده ورسوله محمد – صلى الله عليه وسلم- ، فكان بذلك سببا في إخراجهم من الظلمات إلى النور، وهدايتهم سبل السلام ، ومن عليهم بأن خلق الكون ، وسخر لهم ما فيه من المنافع والخيرات ، فكان سببا في تحقيقهم العمارة والاستخلاف في الأرض. . ثم جعل كلا منهما طريقا لإثبات وحدانيته.

المطلب الثاني : القسم بالكون على عظمة القرآن وحقيقته :

أقسم الله سبحانه وتعالى بالكون في القرآن الكريم ثلاث مرات على عظمة القرآن : أقسم بمواقع النجوم ، أقسم بما نبصر , وبما لا نبصر وأقسم بالمجرات ودورانها[2] قَالَ تَعَالَى:﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ ﴾ الواقعة: ٧٥ – ٧٨

قال سيد قطب في تفسير هذه الآية : " لم يكن المخاطبون يومئذ يعرفون عن مواقع النجوم إلا القليل الذي يدركونه بعيونهم المجردة ، ورغم ذلك قال لهم: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾ الواقعة: ٧٦ ، أما نحن فندرك من عظمة هذا القسم المتعلقة بالمقسم عليه نصيبا أوفر ، وأكبر، وإن كنا لا نعلم إلا القليل من حقيقته."[3].

---

[1] ينظرالمصدر السابق ،ج4 ، ص 143.

[2] ينظر كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ص203.

[3] في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج 6، ص470.

ثم أقسم الله تعالى بما نبصر ، وما لا نبصر من مشاهد الكون على حقيقة القرآن فقال : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣ ﴾ الحاقة: ٣٨ – ٤٣

قال ابن كثير في هذا : " يقول الله تعالى مقسما بما يشاهدونه من آيات في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدون من المغيبات : أن القرآن كلامه ، ووحيه ، وتنزيله على عبده ، ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة ، وأداء الأمانة "[1]. فقال تعالى﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ ﴾ الحاقة: ٣٨ – ٣٩ .

وأقسم الله تعالى مرة أخرى على حقيقة القرآن بأنه تبليغ من رب العالمين ؛ فأقسم بالمجرات ودورانها فقال ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ﴾ التكوير: ١٥ – ١٩ .

أي إنه لتبليغ رسول كريم ، ملك شريف الوجه ،حسن الخلق ، وهو جبريل – **عليه السلام** – كما فسره العلامة ابن كثير .[2]

وحسبي هنا أن أذكر شيئا آخر، أظن أنه يدل على المقابلة والموازاة ، وهو أن الله تعالى في القرآن الكريم وصف أولي الألباب بالذين يجمعون بين الذكر والتفكر في الكون إذ قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾ آل عمران: ١٩٠ – ١٩١

يقرن القرآن الكريم ابتداء بين توجه القلب إلى ذكر الله وعبادته ، قياما وقعودا ، وبين التفكر في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، فيسلك هذا التفكر مسلك العبادة ، فيجعله جانبا من جوانب الذكر ، فيشير بهذا الجمع إلى حقيقتين هما :

---

[1] تفسير القرآن ، ابن كثير ، ج8 ، ص139 .

[2] ينظر المصدر نفسه ، ج8 ، ص139 .

أولاً : أن التفكر في خلق السماوات والأرض ، والتفكر في الكتاب المفتوح ، واتساع حركة الكون لو اتصلت بتذكر الخالق ، وذكره والإحساس بفضله ، وجلاله لتحولت ساعتها إلى عبادة خالق هذا الكون ولاستقامت العلوم واتجهت إلى الله تعالى.

ثانياً : أن آيات الله في الكون لا يمكن أن يدرك حقيقتها إلا القلوب الذاكرة العابدة ؛ فالذين يذكرون الله قياما ، وقعودا ،وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، هم أولوا الألباب حقيقة .[1]

ذلك أن الإنسان قد يتفكر في خلق السموات والأرض وعجائبه ، وأسراره وهو غافل عن العليم الحكيم الذي خلق ذلك في أبدع نظام ، وكم من ناظر إلى صانع وبديع لا يخطر بباله صانعه ومبدعه ، فينشغل قلبه بالخلق عن الخالق ويبقى عقله محروما من لذة الذكر .[2].

فالكون والقرآن هما من مصدر واحد وكلاهما يدل على وحدانية المعبود؛

" الوحي أمر الله ،والكون خلق الله ،ولا تعارض بين خلقه وأمره سبحانه."[3] ورد في معناه قوله تعالى ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ٥٤ .

ومنزل الكتاب، هو مجري السحاب ، كما جاء على لسان سيد الخلق وهو يدعو بهذا الدعاء : « اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب. . .»[4] ؛ إلا أن القرآن الكريم يكتسب الخصوصية من السمو على آيات الله الكونية[5] ، فهو في أصل الهداية أسدى وأرجح ، وهو ما يدل عليه قوله تعالى﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩

فأقوم اسم تفضيل يقتضي اشتراك شيء آخر مع القرآن في أصل الهداية ، ويقتضي أن طريقة القرآن في الهداية أسرع وأرجح ، وهذا يدل بالفحوى على أن طريقة القرآن في الهداية أفضل الطرق، وأعدلها [6] .

---

[1] ينظر الظلال ، ج1، ص546 ،247.

[2] تفسير المنار. ج. 4 ، ص299-300.

[3] ينظر العقل والعلم في القرآن ، القرضاوي ، ص96.

[4] أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، ومسلم في كتاب الجهاد.

[5] مقدمة في تفسير الرسول – صلى الله عليه وسلم – للقرآن ،محمد عفيفي ، ص166.

[6] ينظر الكون هدايته وإعجازه ، محمد الصادق عرجون ، ص278. (د،ن) ، (د،ط).

قال الشيخ محمد الغزالي في هذا الشأن : " ومع هذا يبقى القرآن ولو أن إينشتاين قرأه لما وجد فيه ما يناقض العلم الذي اكتشفه في الكون ،بل لوجد أن خالق الكون كما رآه وهو في ثنايا البحث المادي ، هو منزل القرآن الذي يشعر قارئه بأنه حكيم وعليم وعظيم ، بقدر ما فهم هو من دراسته الكونية .فأجد أن عبقريا – من علماء الحياة والكون – يقرأ القرآن ينظر أن خلق الكون وإنزال القرآن من مصدر واحد ، هذه من خصائص القرآن . . .بينما أنت تقرأ القرآن كأنك تتلقى من مشرف عليك ، وتسمع صوتا كأنه صوت الملك . .بينما تشعر بهذا وأنت تقرأ القرآن تقرأ الكتب الأخرى التي تنسب إلى السماء ، وتشعر بأنها دونك أحيانا ، وأنت تشرف عيها بقلمك الأحمر لتمحو وتكتب لتصحح تاريخا أو وضعه أو قد تحذف أمورا قد يندى لها الجبين " [1].

[1] كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ، ص 205،206.

خلاصة الفصل :

- إن غاية الجمع بين القراءتين توصل الإنسان إلى فهم كوني للوجود ولخالقه ، بخلاف القراءة المنفردة التي تقتصر على أحد القراءتين دون أخرى ؛إذ الاقتصار على قراءة الكون يبقي صاحبه مأسورا في الإطار الوضعي للفكر ومقولاته حول الوجود ، ويفقد الصلة بخالق الكون ، ويفقد الإحساس بالخلافة فيه والشعور بكونه مؤتمن عليه ، ومحاسب على ما يصنعه فيه ، وقد يلجأ إلى اتخاذ نفسه إلها بدافع المشاعر التي تولدها هذه الانحرافات في التصور والاعتقاد ،ويتوهم من نفسه بأن علمه المحدود أمكنه من السيطرة على كل شيء . وفي المقابل الذي يقرأ القرآن بعيدا عن فهم أسرار الوجود، يؤدي به إلى خلل يكون مصيره النفور من الدنيا والزهد فيها بشكل يشل طاقته الإنسانية العمرانية ، ويعطله عن أداء مهمة الخلافة ويحول بينه وبين الانتفاع بنعمة التسخير- كما هو حال المسلمين اليوم - ، وهذا كله مناف للمنهج الذي رسمه القرآن الكريم ودعا إليه[1].

وخلاصة الأمر أنه لا يمكن الفصل بين قراءة الكون وقراءة القرآن في المنهج القرآني، فالكون خلق الله، والقرآن كلام الله،ولا فصل بين أمره وخلقه ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ٥٤ ،وكل إعراض عن الجمع بين خلقه وأمره في فعل القراءة هو إعراض عن المنهج القرآني.

[1] ينظر نحو منهجية قرآنية معرفية ، د-طه جابر العلواني ، ص(272-274-292-293).

الفصل الرابع : خصائص القراءة في الرؤية القرآنية .

المبحث الأول : القراءة في الرؤية القرآنية.

المبحث الثاني : الفرق بين خصائص القراءة في الرؤية القرآنية وخصائصها في الرؤية المادية

تمهيد :

تتسم القراءة في الرؤية القرآنية بخصائص سامية تجعلها أكثر تميزا عن القراءة في الرؤية المادية الغربية ،تتضح معالمها أساسا من خلال البحث عن مميزاتها وخصائصها في القرآن الكريم ، وذلك من خلال عرض محدداتها ، وأهدافها ومقاصدها، ثم تحديد مكمن الفرق بينها وبين القراءة في الرؤية المادية ، وهذا ما سيتضح من خلال هذين المبحثين الآتيين :

المبحث الأول : القراءة في الرؤية القرآنية.

المطلب الأول : محددات القراءة في الرؤية القرآنية :

لقد أمر الله سبحانه بالقراءة ، ولم يترك فيها الأمر مطلقا للإنسان ليتعلم ما يريد، وكيف يريد ، ويتجه بها نحو ما يريد ويبتغي ، بل جعل لها ضوابط ، تعمل على ترشيد مسارها ، والميل بها نحو الطريق الأنفع ، لذلك عندما أمر بالقراءة أول مرة أردفها باسمه قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ العلق: ١ ، فهو الذي خلق هذا الكون ، وأنزل القرآن ، وسخر للإنسان ما في هذا الكون لينتفع به ، فلا ينبغي أن تكون القراءة إلا باسمه ، والقراءة باسم الله تعالى يمكن استخلاص معانيها من خلال ما تضمنته سورة العلق حتى يتمكن من الإحاطة بهذا المفهوم ، أو يعطى حقه من العناية مثل ما أمر الله تعالى .

وتتمثل هذه المحددات والضوابط فيما ما يلي :

1/ أن يكون القصد من القراءة الإيمان بالله تعالى :

تقتضي هذه القراءة أن يكون الهدف منها أن يتعرف الإنسان على الله تعالى ، ومن أجل ذلك خلق الإنسان ، خلق من أجل أن يعرف الله تعالى ، حتى يتمكن من عبادته حق العبادة [1]،

قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢ ﴾ الطلاق: ١٢

إن المرء مطالب بالبدء باسم الله تعالى في جميع أموره ، وفي كل حركة من حركاته حتى يتمكن من تقدير عطاء الله في الكون ، فالفلاح مثلا عندما يزرع الأرض يبدأ فيها باسم الله لأن الإنسان لم يخلق الأرض التي يحرثها، والأسباب والقوانين التي تعمل على إنباتها ليست ذاتية ، وإنما هي تسير بإذن الله سبحانه إن شاء أجراها وإن شاء أوقفها .[2]

---

[1] ينظر فقه السيرة ، الدكتور محمد راتب النابلسي ، مقال ،www.quran.comتاريخ التحديث : 2010/01/14،تاريخ الدخول:2010/02/07م ،ص2

[2] ينظر تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، وفي ظلال القرآن .

والهدف من القراءة أن يؤمن المرء بالله تعالى ، وليس هناك علم من أجل العلم ، وإنما هناك علم من أجل أن يعرف الإنسان ربه ويعبده حق عبادته ، حتى يسعد بها في الدنيا والآخرة ، والقراءة إذا لم تتجه نحو الإيمان بالله تعالى فهذه القراءة لا قيمة لها ،لذلك كان دعاء النبي–صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها »[1]

الهدف من القراءة أن يؤمن المؤمن بوجود الله ووحدانيته ، وهو ما قد وضح في المباحث السابقة في أهمية قراءة الكون ، والعلاقة بينها وبين قراءة القرآن من أن الله تعالى في كثير من الآيات التي يذكر فيها كتابه الكريم ، أو الآيات التي يذكر فيها الكـــون ، ويأمر بالنظر والتدبر في ملكوته ، ويتحدث فيها بخلقه يذيلها بالوحدانية ونفي الشرك والشركاء ؛ ذلك أن تعالى جعل العلم والقراءة طريقا للإيمان بوحدانيته. والعلم في القرآن الكريم دليل الإيمان ؛ إذ أنه يهدي إليه ، ويدل عليه ، لذلك قرن الله تعالى بينه وبين الإيمان في القرآن في قوله تعَـالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦ ﴾ الروم: ٥٦ .

قَالَ تعَـالَىٰ:﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤ ﴾ الحج: ٥٤

قال الشيخ القرضاوي في ذلك : "علم في حضانة الإيمان "[2]. وهو إيمان بعلم أيضا .

---

[1] الحديث رواه الطبراني في الأوسط ، وضعفه الهيثمي في الزوائد ،ورواه الطبراني من طرق أخرى صححها الهيثمي نفسه في المجمع منها ما روي من طريق عائشة – رضي الله عنها ، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يقول : " اللهم إني أسألك علما نافعا وأعوذ بك من علم لا ينفع "وري عن جابر – رضي الله عنه – ، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يقول : " اللهم إني أسألك علما نافعا و أعوذ بك من علم لا ينفع " إسناده حسن. وفي رواية أخرى عن جابر – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله عليه وسلم–:" اللهم إني أسألك علما نافعا ،وعملا متقبلا "قال قال فيه الهيثمي : رجاله وثقوا ، المجمع ، الهيثمي ،ج10،ص182،1881 .

[2] العقل والعلم في القرآن ، د/يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة ناشرون ط(2001،1422) . .ص905 .

وهناك عبارة ذكرها الإمام أبو حامد الغزالي تفيد إجمال ما فصل في هذا المعنى حيث قال – رحمه الله :" من عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله تعالى لا يستحق أن يسمى حكيما ".[1] ؛ ذلك أن علمه بهذه الأشياء لا ينفعه ولا يفيده في شيء ما دام لم يعرف خالق هذه الأشياء .

حصر الإمام الغزالي حقيقة العلم في معرفة الله تعالى . وهكذا يجب أن يكون .

2/أن يكون هذا العلم مما ينتفع به :

والمقصود بالعلم النافع : " الذي ينتفع به الفرد والمجتمع "[2] لأن الإيمان بالله لا يكفي فيه أن يؤمن بالله تعالى بأنه هو الذي خلق فحسب ، وإنما أن يوجه هذا العلم وفق ما أراده الله تعالى ، ونحو أهداف إسلامية ، ويرقى لخدمة الإسلام ، وبما يعود على الأمة بالنفع ، حتى يتمكن من تحقيق عمارة الأرض والاستخلاف فيها .

روي في تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر: ٩ .

"أن الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به ،فأما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به ، فهو بمنزلة من لا يعلم "[3] وهذا ما يستفاد من دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – : « اللهم علمنا ما ينفعنا ،وأنفعنا بما علمتنا،وزدنا علما »[4]

كثيرون هم الذين يعرفون بأن الله هو الخالق ، لكنهم لا يوجهون علمهم وفق ما أمرهم به ، أولا يوجهون هذا العلم ، والعلم في المنهج الإسلامي لا بد أن يكون محدد الوجهة والغاية التي يصير إليها .

---

[1] الإمام الغزالي نقلا عن الدكتور راتب النابلسي في شرح أسماء الله الحسنى .

[2] الإنسان والكون في الإسلام ، الغنيمي التفتزاني ، ص22 .

[3] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، م 2،ج 4 ، ص2670 .

[4] رواه الترمذي في كتاب الدعوات وصححه . .الجامع الصحيح ، سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط(1408ه–1987م) ، ص128

ويمكن أن يطلق على هذه القراءة اسم" قراءة بحث وإيمان "[1] ، ذلك أن الباحث ينطلق في بحثه وهو مؤمن بالله تعالى ، أو يبحث حتى يوصله بحثه إلى الإيمان بالله تعالى . ومن ثمة يكون العلم خادما للإيمان.

2/أن يشكر الله تعالى من خلال قراءته :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾ العلق: ٣

قال الشيخ الشعراوي في تفسير هذه الآية : " هناك أكرم وهناك كريم ، فالإنسان عندما يعلمك يكون كريما ، أما إذا كان الذي علمك هو الله تعالى ، فسيكون أكرم من الإنسان الذي علمك "[2] .، ومن كرمه عز وجل أن رفع الإنسان من مرحلة العلق إلى درجة الإنسان الذي يعلم ويتعلم ، وهذه النقلة هي نقلة بعيدة بين منشإ الإنسان ومصيره.[3]

. وفي هذا قمة الكرم التكريم لهذا الكائن الحي ، فالله سبحانه وتعالى علم الإنسان كل هذا العلم بعد أن كان جاهلا فمن الواجب أن يشكره على هذه النعمة،وهذا الشكر يمكن تحديد مظاهره من وجهتين :

أ/ أن يعترف بأن الله تعالى هو الذي علمه هذا العلم ، وهو الذي فتح له الطريق إليه قال الله تعالى ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ العلق: ٣ ــ ٥

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ۝١١٣ ﴾ النساء: ١١٣

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ۝١٥١ ﴾ البقرة: ١٥١

فلا علم للإنسان إلا ما علمه له الله تعالى ، و في القرآن الكريم ، ، ومن أقوال العلماء والحكماء ما يبين هذه الحقيقة ومنها :

---

[1] فقه السيرة ، راتب النابلسي.ص6.

[2] تفسير الشعراوي ص

[3] ينظر الظلال ،سيد قطب ، ج16 ، ص 3939.

أولا : من القرآن :

ورد في القرآن الكريم مواقف كثيرة تبين حقيقة الشكر في عزو العلم إلى الله تعالى حيث يمكني أن أختار ما يأتي :

– قال الله تعالى على لسان الملائكة عند ما خلق الله تعالى آدم –عليه السلام –وطلب منهم أن ينبؤه بأسماء الأشياء:﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ ﴾ البقرة: ٣٢ .

– و ورد في قصة سيدنا سليمان – عليه السلام – حين جيء إليه بعرش بلقيس عن طريق العلم قبل أن يرتد إليه طرفه ، لم يقل كما قاله قارون في عزة وتكبر﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ٧٨ ﴾ القصص: ٧٨ . وإنما كان قوله ﴿ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ٤٠ ﴾ النمل: ٤٠

– ومن ذلك أيضا ما ورد في القرآن في قصة ذي القرنين عند بناء السد مستعينا بالله تعالى أولا ،ثم بقوة الشعب ثانيا ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥ ﴾ الكهف: ٩٥ فلما أنهى بنـــاءه قال في تـــــواضع وخضـــــوع[1]﴿ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨ ﴾ الكهف: ٩٨ .

ثانيا : من الحكم المأثورة وأقوال العلماء :

قال ابن عطاء الله السكندري في بيان حقيقة الشكر :" لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك، فإن ذلك يحط من وجود قدرك " .[2]

قال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في شرح ذلك : " إن أصدق الناس شكرا لله عز وجل ، من تخلى عن أوهام حوله وقوته ، ونسب الفضل في كل ما يجده من توفيق وبناله من نعمة إلى الله عز وجل " .[3]

---

[1] العلم والعقل في القرآن الكريم ، يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، ط(1422ه–2001م))ص97 .–98.

[2] الحكم العطائية شرح وتحليل ، د/محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ، دار الفكر ،سورية دمشق . ج1ص355.

[3] المصدر نفسه من الصفحة نفسها .

وقد بين الإمام أبو حامد الغزالي –رحمه الله - : " حد الشكر وحقيقته حيث قال : ينتظم من علم وحال، فالعلم هو الأصل ، فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم ، فلا يتم إلا أن يعرف أن النعم كلها من الله والآخرون مسخرون " .[1]

وقال الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله – :" إن الفارق بين المؤمن والكافر أن المؤمن يدري من أطعمه ، ويعرف حقه ، أما الكافر فهو مكفوف البصيرة تائه عن ولي نعمته ".[2]

وقال أيضا : "يكفي في مديح الله أن تعرف الحقائق وتذكر، فإن آفة البشر تجيء من الجهل والنسيان "[3]

تنتظم حقيقة الشكر من اعتراف العبد بالنعمة والإقرار بكونها من الله تعالى،وكل إنكار لمصدر الإكرام والإنعام ، هو بخس لحقيقة الشكر.لذلك كان من دعاء المؤمن – قوله :« اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا » ، لأن المؤمن يعترف بنعمة الله تعالى عليه.

ب/ أن يوصله علمه إلى أن يشكر الله على نعمة الخلق ، والإيجاد،والإنعام :

إن القرآن الكريم كثيرا ما يلفت الأنظار ، ويوجه الأذهان إلى نعمة الخلق ونعمة الرزق ، ومن ذلك :

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ ﴾ البلد: ٨

أي أن الله تعالى أنعم على الإنسان نعما عظاما لا يحص عددها ، ولا يطاق شكرها ، ومما أنعم عليه بأن جعل له ما يبصر به ، وما ينطق به .[4]

قَالَ تَعَالَى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ التين: ٤

---

[1] إحياء علوم الدين ، الإمام الغزالي ، ج4 ، ص68.

[2] ركائز الإيمان بين العقل والقلب ، محمد الغزالي ، ص233.

[3] المرجع نفسه ، ص232.

[4] ينظر تفسير القرآن ابن كثير ، ج8 ، ص253.

وقوله تعالى في سورة ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ يس: ٧١ – ٧٣ .

يذكر الله تعالى في هذه الآيات بنعمه التي من بها على خلقه ، ذللها لهم بغية الانتفاع بها ،ثم يذيل الآية بقوله ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ يس: ٧٣، أي أفلا يوحدون

خالق ذلك ومسخره ، ولا يشركون به غيره.[1]

يقرأ الإنسان أصل خلقه ، ويبحث في الكون ، ويشكر الله تعالى بأن خلقه في أحسن تقويم ، وخلق له كل ما في الكون بانتظام . وذلك بأن يعبده حق العبادة. وهذه القراءة قراءة شكر وعرفان [2]

وخلاصة الأمر في بيان الشكر في مجال القراءة ، أن يعترف الإنسان بأن الله هو الذي علمه العلم ، ثم يشكره على العلم الذي علمك إياه ، وأن يشكر ه من خلال التعرف على ، كما آمن به من خلال التعرف على خلقه.

3/ أن لا يطغى الإنسان بعلمه الذي تعلمه :

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى بعدما تحدث عن الله تعالى بأنه هو الذي وهب الإنسان نعمة العلم ، فقال القرآن ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾ العلق: ٦

قال سيد قطب في تفسير هذه الآية : "الإنسان في عمومه – لا يستثنى إلا من عصمه إيمانه – لا يشكر حين يعطى فيستغني ، ولا يعرف مصدر النعمة التي أغنته ، وهو المصدر الذي أعطاه خلقه وأعطاه علمه ،ثم أعطاه رزقه ،ثم هو يطغى ويفجر ، ويستعلي ويتكبر من حيث كان ينبغي أن يعرف ويشكر "[3].

---

[1] ينظر المصدر السابق ، ج8 ، 299.

[2] فقه السيرة ، النابلسي. ص6.

[3] الظلال ، سيد قطب ،ج..16..ص.3942.

فالإنسان بعد ما يمنحه الله نعمة العلم قد يستغني ، ويتكبر ويتجبر في الأرض ، أو يطغى، كما عبر عنه القرآن الكريم ، وحقيقة الطغيان في المجال العلمي تبرز في الواقع من وجهتين هما :

1/ أن يجهل الإنسان بأن الله هو الذي علمه هذا العلم ، وهو مصدر هذا العلم ،بعد أن أكرمه به ، ومنحه إيـــاه ؛ ذلك : " أن امتلاكه للوسائل والأسباب المتاحة له في العاجلة ، والتي يشعر بأنها تجلب له السعادة في دنياه ،يجعله يشعر بالاستغناء عن ربه ، إذ لا يرى بعينه أن كل الأحداث الكونية هي من تصاريفه جل جلاله ، وهذا الشعور بالاستغناء يولد استعلاء واستكبارا وطغيانا "[1]. ومن مثل ذلك ما ذكره القرآن عن قارون وتكبره واستغنائه ، وتجاهله مصدر النعمة ، حيث قال في تكبر واستعلاء ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴿٧٨﴾ ﴾ القصص: ٧٨

كان طغيان قارون نتيجة استغنائه بماله وظنه بأنه قد استغنى عن الله.

2/ أن يتكبر بعلمه على الخلق ، فيوجه علمه لغير ما سخر له ، واعتبر الإمام أبو حامد الغزالي هذا التكبر أعظم الأنواع وأخطره ، لكون العز والعظمة لا تليق إلا بالخالق أولا ، ولكون صاحب هذا السلوك يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره[2] : ف: " الإنسان متى شعر باستغنائه بأسبابه التي أعطاها الله له طغى ، فطغى طغيانه على بصيرته فكفر بربه ، وزين ظلمه وبغيه بزخرف القول والدعاوي الكاذبة الباطلة ، وسخر ما لديه من قوة وانتصار لتحقيق مطالب نفسه الجائرة الظالمة الآثمة"[3].

والواقع يشهد ما يفعله العالم الغربي من استدلال للشعوب ، وقهر للنفوس المستضعفة ، نتيجة ما توصل إليه من العلم المتطور، والتقنية والصناعة ، التي أصبحت تفتك بحياة الضعفاء وتهدد أمنهم واستقرارهم.

إن شعورهم باستغنائهم عن الخالق هو الذي أكسبهم هذا الاستعلاء والطغيان .

---

[1] معارج التفكر ودقائق التدبر ، حبنكة الميداني ، م1 ، ص39.

[2] ينظر إحياء علوم الدين ،الغزالي ، ج4 ، ص(22،23) . .

[3] المرجع نفسه ، ص38.

وهذه القراءة يمكن أن يطلق عليها "قراءة تكبر وطغيان "[1]. وهي المذمومة في القرآن الكريم.

وخلاصة الأمر في هذا أن القراءة في الرؤية القرآنية ذات محددات وضوابط تتمثل في كون الهدف منها معرفة الله تعالى ، والإيمان به ، والشكر على إنعامه على العبد بنعمة العلم ، وأن لا يتوصل الإنسان بقراءته إلى جهل مصدر علمه ، أو أن يتخذ من نفسه جبروتا يستعبد به المستضعفين ؛ ذلك أن القراءة في الرؤية الإسلامية يجب أن تتخذ وسيلة لا غاية ، وكل قراءة لا تتسم بهذه المحددات فهي قراءة بعيدة عن هدي القرآن الكريم .

المطلب الثاني : أهداف القراءة في الرؤية القرآنية :

للقراءة في الرؤية القرآنية أهداف أكثر سموا وشمولا ، تتمثل فيما يأتي:

1/ الوصول إلى معرفة الله تعالى ، وتحقيق مرتبة العبودية له سبحانه [2] ، وهي الغاية الكبرى والأسمى التي حددها القرآن ونبه إليها ؛ فمن كانت انطلاقته باسم الله تعالى ، فسيصل حتما إلى معرفة الله تعالى من خلال علمه الذي تعلمه ، وهذا ما قد سبق التفصيل فيه في ثنايا هذا البحث . وقد ورد في القرآن من ذلك قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ الطلاق: ١٢

2/ إخراج الناس من الظلمات إلى النور : وقد نصت الآيات على هذه الغاية في كتاب الله العزيز، الحاملة في طياتها الخلاص للبشر من كل أنواع الجهالة ، والشرور ، والنقائص ؛ ومنحهم كل أنواع الخيرات من العلوم ، والمعارف النافعة [3] ، وقد عملت فعلا على إخراجهم من غياهب الجهل والظلمات ، وخير دليل على هذا حال العرب قبل أن تنزل عليهم الرسالة المحمدية . وقد بين القرآن الكريم كيف أ نه زكاهم ونورهم ، بعد أن كانوا يعيشون في ظلمات الجهل ، قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة: ٢ .

---

[1] فقه السيرة ، راتب النابلسي11 .

[2] ينظر التفسير الموضوعي بين كفتي الميزان مع القراءة بين الأسباب الربانية والأسباب البشرية المادية سلسلة التراث الروحي ، د/عبد الجليل عبد الرحيم ، ،ص174 .

[3] ينظر المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ آل عمران: 164 .

قال ابن كثير :"وإن كانوا من قبل لفي غي وجهل جلي، بين لكل أحد " .[1]

2/ تحرير الإنسانية من كل مظاهر العبودية لغير الله تعالى[2] :

لقد كانت الإنسانية من قبل أن تأخذ سبيلها نحو العلم والمعرفة بالله تشهد الرق والاستعباد بكل أنواعه وأشكاله ،ثم جاء هذا العلم وحررها ومن ذلك ما روي عن الصحابي ربعى بن عامر – رضي الله عنه – : " جئنا نخرج الناس من عبادة العبيد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا و الآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام " .

يفهم من كلام الصحابي – رضي الله عنه – أن العلم الذي تعلموه من القرآن سبب في توجههم إلى عبادة الله وحده ، وتحررهم من كل مظاهر الرق التي شهدوها لغير الله تعالى ، لكن بعد الإنسانية عن المنهج القرآني جعلها تشهد هذه العبودية من جديد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، في ظل التحديات التي يمارسها الإنسان الغربي على حساب المستضعفين ، أو التي يمارسها حكام العرب أنفسهم على حساب الرعية.

4/ التمكن من حمل أعباء الأمانة ، والقيام بالدعوة إلى الله على بصيرة ، وبلوغ درجة وراثة النبوة ؛ذلك أن المتابعة الحقة للنبي – صلى الله عليه وسلم – وسائر الأنبياء من قبله – عليهم السلام – وحسن الإقتداء بهم، والاستقامة على منهجهم ، موصلة إلى ميراث نورهم وعلمهم الرباني بكل صفاته وخصائصه .[3]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف: ١٠٨

[1] تفسير القرآن ، ابن كثير ،2 ، ص95.

[2] ينظر التفسير الموضوعي بين كفتي الميزان ، عبد الجليل عبد الرحيم .ص174.

[3] ينظر المرجع السابق ص نفسها .

أي أن الله تعالى أمر نبيه الكريم أن يخبر الجن والإنس أن هذه سبيله يدعو إلى الله على بصيرة من ذلك ،ويقين وبرهان ، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على بصيرة ، ويقين ، وبرهان عقلي وشرعي[1].

يفهم من تفسير هذه الآية أن كل من سار على نهج الأنبياء يبلغ درجة وراثة علمهم ، ويدعو إلى الله على بصيرة.

5/ امتلاك أسباب القوة وتسخيرها لخير الإنسان وصالح البشرية [2] : في حين أن القراءة عندما اتخذت سبيلا غير سبيل القرآن الكريم ، اتخذت أسباب القوة في غير ما سخرت له ، فبدل أن تسخر لصالح البشرية ، باتت هي السبب الأول في تزعزع كيانها ، وغياب أمنها واستقرارها . وغير خاف على أحد ما أحدثه العالم الغربي جراء امتلاكه لأسباب القوة.

6/ تحقيق الرحمة لكل أفراد البشرية ،لأن القراءة باسم الله تعالى حاملة لصفات الخير والرحمة للعباد جميعا ،فما من حامل لها إلا وهو محب الخير للبشرية جمعاء ، حريص على نفعهم وهدايتهم وتخليصهم من أسباب شقائهم ، بعيد عن الأنانية والعصبية،والمصلحة الشخصية [3]وهكذا يجب أن يكون .

7/ نشر العدالة والمساواة بين الأفراد ، ورفع الظلم ، وإزالة شرور العصبية القبلية . وهو ما يستفاد من كلام ربعي ابن عامر– رضي الله عنه – الذي سبقت الإشارة إليه .

8/ تربية وبناء الذات المتكاملة والمتوازنة ، الحاملة لكل المثل العليا والآداب الربانية ، وبناؤها[4].

9/القدرة على حل المشاكل ومواجهة أكثر أنواع التحديات ،وعلاج الإنسان من العديد من الأمراض الظاهرة والباطنة وتخليصه من مكايد الشيطان [5]، لأن الإنسان إذا كان قلبه متعلقا بالله تعالى متمسكا بالمنهج القرآني ، فسيظل صفي الروح نقي البصيرة ، وذلك علاجه من الأمراض الظاهرة والباطنة . قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ

---

[1] ينظر تفسير القرآن ، ابن كثير ، ج4 ، ص244.

[2] ينظر التفسير الموضوعي بين كفتي الميزان ، عبد الجليل . .ص174. .

[3] ينظر المرجع السابق ، ص172،147.

[4] ينظر المرجع نفسه ، ص 145.

[5] ينظر المرجع نفسه .

يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩. ويشمل كل ما يهديهم إليه ، كل منهج وكل طريق ، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان ،في علم الضمير والشعور .[1]ولا يتم ذلك إلا بإتباع منهجه والعمل بهديه.

إن القراءة باسم الله تعالى هي منهجية حددها القرآن الكريم ترشيدا لمسار القراءة ، وقراءة الآيات والمظاهر الكونية - بدون هداية من القرآن المجيد قد تكسب الإنسان الفعالية التسخيرية ، لكنها فعالية قاصرة مردية في غياب الاستبصار بالمنهجية التي حددها القرآن الكريم ، وهي القراءة باسم الله تعالى مثل ما حدث مع قوم عاد عندما تخلوا عن منهج الله تعالى قيل :كانوا عقلاء ذوي أبصار تسخيرية ، غير أن عدم استجابتهم لرسلهم أدى بهم إلى الهلاك[2] وهو سبب ضعف – والذين هم كسائر الرسل جاؤوا لإضافة الوجهة إلى الفعالية – أدى بهم إلى الهلاك المجتمعات الإسلامية اليوم ، فلما كان القرآن هو الذي هداهم إلى سائر العلوم كان تركهم لهدايته هو الذي سلبهم ذلك حتى انقلب الأمر وانعكس الوضع على غير ما كان عليه.[3]

– إن هذه المنهجية التي رسمها القرآن الكريم ، هي التي تعطي للإنسان في الكون معنى ، وتجعل ما سخره وسيلة للبحث عن الرشد ؛إذ هي منهجية يشعر إنسانها بالافتقار إلى الوحي ، وهو ما حدث مع سيدنا إبراهيم –عليه السلام[4]– ذلك أن عظمة الإيمان تتألق في دنيا يملكها المجتمع المؤمن ، ويستطيع الانغماس في متعها ، ومع ذلك فهو يحكم نفسه ، ويحكمها باسم الله تعالى ، وتعتمد أساسا على نشاط عقلي لا حدود له ، مع مواكبة نشاط روحي لا يقل عنه كفاءة ، بل يدل عليه.[5]

---

[1] ينظر في ظلال القرآن ،سيد قطب ،ج6،ص221.

[2] ينظر بنائية القرآن المجيد دعامة من دعامات الختم ،أحمد عبادي مقال . www.hira.magazine.com أكتوبر ديسمبر 2009

[3] ينظر المنار ، ج9 ، ص20.

[4] قصة إبراهيم – عليه السلام – قد تم عرضها وشرحها في دعوة القرآن إلى قراءة الكون .

[5] ينظر ركائز الإيمان بين العقل والقلب ، محمد الغزالي ، ص30.

– ومن خلال هذه المنهجية الربانية في القراءة يجب على الإنسان المسلم أن يستصحب في قراءته اسم الله تعالى ، بل ويفعل ذلك في جميع أمره ، حتى يتمكن من تحقيق هدفه الأسمى ، وهو تحقيق العمارة والاستخلاف في الأرض ، وغايته الكبرى التي هي تحقيق رضا الله تعالى ، بتحقيق العبودية له سبحانه.

المبحث الثاني : الفرق بين القراءة في الرؤية القرآنية ، والقراءة في الرؤية المادية .

بعد معرفة خصائص القراءة وأهدافها في الرؤية القرآنية ، استدعى الأمر أن تعرج الباحثة على التفريق بين خصائص القراءة في الرؤية القرآنية ، وخصائصها في الرؤية المادية ، ورأت الباحثة أن يقسم هذا الاختلاف إلى اعتبارات ، و يتبين ذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول : الاختلاف من حيث مبدأ القراءة :

إن القارئ عندما يقرأ، أو الباحث عندما يبحث ، يدرك أن قوانين الكشف العلمي واحدة لا تختلف، كأن تكون هناك قوانين إسلامية ، وأخرى غير إسلامية .لكن وجب أن يفرق في ذلك بين شيئين اثنين هما : تقنية العلوم وآليات فهمها ،فتقنية العلوم هي قدر مشترك بين البشر مسلمهم ، يهودهم ، ونصرانهم ،بينما هناك شيء آخر تختلف فيه وهو العلم ، وغايته ، ورسالته ؛ فالرسالة عند الباحث الإسلامي تختلف عن الرسالة في البحث المادي ، وهذا الأساس تحدده عقيدة الباحث ،فعندما ينسب أي علم للإسلام ، يعني أن أهدافه وجهت لتخدم رسالة إسلامية ، أو وفق المبادئ الإسلامية ، وهو ما يسمى بأخلاق العلم .[1]

ويقترب من هذا المعنى ما يسمى اليوم بإسلامية المعرفة [2]، وهذا المصطلح ليس المقصود منه تعدد المعرفة العلمية أو آليات الوصول إليها، وإنما المقصود تحديد المعارف العلمية على ضوء القيم والمبادئ الإسلامية ، وتوجيه رسالة هذا العلم بغية

---

[1] كيف نتعامل مع القرآن ، الغزالي ، ص212بتصرف.

[2] إسلامية المعرفة هي : ممارسة النشاط المعرفي كشفا وتجميعا وتوصيلا ونشرا من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة "أوهي : فك الارتباط بين الإنجاز العلمي الحضاري البشري والإحالات الفلسفية الوضعية بأشكالها المختلفة وإعادة توظيف هذه العلوم ضمن نظام ديني وضعي "وعرفت أيضا بأنها "البديل المعرفي الإسلامي عن النموذج المعرفي العلماني السائد "وبتعبير دقيق هي :"اكتشاف منهجية التنزيل في الوحي المقروء والمنسجمة مع منهجيته في الخلق في الكون المتحرك ليفهم القرآن المجيد بسنن الكون وقواعد الخلق ،وليفهم الكون ووسائل إعماره بما يهدي الوحي إلى قواعده وسبل ضبطها ومعايير ومقاييس حركتها "،يرجع في بسط هذه التعريفات لكتاب :نحو منهجية معرفية قرآنية ،د/طه جابر العلواني ، ص(224-225) .

تحقيق أهداف وغايات نبه الإسلام إليها .[1]

ولبيان الفكرة وتوضيحها أكثر لا بأس أن يضرب مثال لذلك ؛ فالفكر المادي عند ما يتحدث عن أصول الفيزياء أو الكيمياء تجده يشير إلى المجهول « س » بخلاف العقيدة الإسلامية التي ترفض هذا التجهيل ، ومثل الشيخ الغزالي لهذا حيث قال: « نحن نضع الحبة فتنبت . . .ما الذي ينبتها ؟ في علم النبات يقولون الطبيعة ،أو يقولون العناصر أو الشروط ، أو الظروف. وكل هذا يجعله غطاء للقدرة العليا وما يصنعه الله ، أنا لا أتصور أن الأرض فيها حبة قمح . . .تلك مشكلة فكيف تضع مقادير نشاء إلى جانب مقادير من السكر إلى جانب مقادير من الفيتامينات والأملاح ، ونلفها لفة في سنبلة فيها سبعمائة حبة؟ فهل التراب الأعمى المطموس الذي لا يعي شيئا هو صانع هذا ؟

هناك عقل وتدبير، فكون العلم يغطي هذا ويمر ببرود دون أن يتحدث عن هذا ، فهذا شيء فيه كنود» .[2]

وبعض الأمم كالغربيين مثلا ،رغم علمهم الواسع بسنن الله في أحوال البشر وسائر أمور الكون، فأكثرهم يجهل مصدر هذه السنن وحكم الله تعالى فيها، فكانوا بذلك مثلهم كمثل الذين لم تنفعهم النعم شكر المنعم ، ولا النقم تقوى الرب المنتقم.[3]

وفي الفكر الإسلامي ليس هناك فصل بين العلم والدين ، أو بين العلم والإيمان ، وإنما هناك إخاء بينهما ،فالعلم يؤيد الإيمان، والإيمان يبارك العلم ؛ذلك أن القرآن الكريم والسنة النبوية يدعوان إلى العلم ، ويعتبرانه عبادة وفريضة ،سواء أكان علم دين ، أم علم دنيا ، أي سواء كان مصدر العلم الوحي، أو كان مصدره الكون ، لأن الوحي أمر الله ، والكون خلق الله ، ولا تعارض بين خلقه وأمره قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ٥٤

---

[1] ينظر كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي،ص212.

[2] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

[3] ينظر تفسير المنار ج9،ص20.

بينما تعتمد الرؤية المادية للعلم على فصلها بين الدين والعلم ، – كالذي عرفته أوربا في القرون الوسطى [1]؛ ذلك أنها ترفض إدماج الوحي في بنيتها المعرفية ، مؤكدة بذلك أن الكتب الدينية تختص بالحديث عن الأمور الغيبية، لا مجال لاتخاذها مصدرا من مصادر المعرفة والعلم [2].

منطلق العلم في الرؤية المادية للعلم يختلف عن منطلقه ومبدئه في الرؤية الإسلامية ، فالرؤية المادية تنسب كل ما خلق إلى الأرض إلى الطبيعة المجردة،وترفض أن تدمج العلوم الدينية مع العلوم الكونية ،بينما في الفكر الإسلامي تعتبر كل ما خلق على الأرض مصدره القدرة الإلهية ، و لا تفرق في ذلك بين أمره وخلقه . وهكذا يجب أن تكون ، لأن العلم إذا لم يكن الإيمان بالله منطلقه فلا فائدة يجنيها المرء من ورائه.

المطلب الثاني : الاختلاف من حيث هدف القراءة وغايتها :

من خصائص المعرفة الإسلامية أنها لا تقتصر في بحثها على التعرف على مصدر الخلق وحسب ، فلن تكتمل معرفة حقيقة خالق الكون ما لم تمتد إلى مرحلة أخرى ، هي أن تكون النتائج والثمار محكومة بقيم وأهداف تسير وفق ما وضعه عليه المولى عز وجل الذي هو واضع القانون .[3]

ولا بأس أن يمثل لذلك بأمثلة لدراسات واقعية من أجل توضيح الفكرة :

1/ في علم الهندسة مثلا ، لا تختلف الهندسة من حيث الخرسانة والكميات و النسب بين المهندس الإسلامي وغيره ، لكن الذي يختلف هو أهداف الهندسة ؛ فالمهندس الإسلامي يجب أن يراعي التصاميم العلمية المحققة لقيم إسلامية كالستر ، وعدم الإضرار بالغير ، ومنع الهواء ونور الشمس عن جيرانه ، بينما الفكر المادي لا يراعي هذه المبادئ الخلقية .

---

[1] ينظر العقل والإيمان في القرآن ، يوسف يوسف القرضاوي ، ص96.

[2] ينظر بنائية القرآن دعامة من دعامات ختم القرآن ، أحمد عبادي ، مقال ص34.

[3] ينظر كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ، ص212.

فالعلم شيء غير أخلاقه وفلسفته التي ينطلق منها .[1]

وهناك مثال آخر ارتأت الباحثة أن تشير إليه ، هو ما يتعلق بنظام البرمجة الزمنية ، أو إدارة الوقت ،فما يذكره المتخصصون في هذا المجال ، وبعد دراستهم لإدارة الوقت التي حددها الغرب ، أنه لا يراعى فيها الاعتبار الديني ، وكل تقسيماتهم للأزمنة الخاصة بالتقويم اليومي خالية من زمن التعبد ، وكل عمل عندهم لا يراعى فيه الجانب الروحي .

ومن السلبيات للبرمجة الزمنية ، أو ما يسمى بإدارة الوقت في الفكر الغربي المنحى المادي الصرف للأهداف، وحتى في حديثهم عن الأهداف الروحية والاجتماعية ، فإنهم يقصرونها على البعد والقيمة المادية ، ومن ثم فالأهداف التي يحددونها دوما تفتقر إلى الجانب الروحي ،مما جعلها ذات نفع ضيق قصير ، وبلا غاية حقيقية .[2].

والقارئ لمراجع الفكر الغربي في تقسيمها للوقت يصل إلى نتيجة مفادها أن الغايات ضعيفة كل الضعف ؛ لا تستجيب لمتطلبات الحياة السوية ، ومرد ذلك الاضطراب ، والقلق الناتج عن إبعاد الجانب الديني والإيماني .[3].

في حين أن البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي من الواجب أن يراعى فيها الجانب الروحي ، ولا تقتصر على المبادئ والقيم المادية فحسب ، وكل عمل يعمل لا بد وأن يصبغ بالصبغة الدينية[4]عملا بقول الله ﷻ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٢ .

وما يعاب به على الأهداف والغايات في الرؤية المادية أيضا ، كونها لا تتعدى الحياة الدنيوية ، المحصورة في إطار المصالح الشخصية والحزبية القومية ؛ حيث تعم الأنانية ، وتتحكم العصبية ، وتسود الأهواء ، والنظم ، والقوانين الوضعية بدل الشرائع

---

[1] ينظر المرجع نفسه ، ص213.

[2] ينظر أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي ، موس بابا عمي ، نشر جمعية التراث القرارة غرداية ، ص187 .

[3] ينظر المرجع نفسه ص191 .

[4] دورة شاركت فيها في البرمجة الزمنية ، إشراف الهيئة المغاربة للتدريب الفعال ،المدرب داري قدور، تيميمون أيام 29/28صفر ، و06/05ربيع الأول 1431ه الموافق ل:20/19/13/12فبراير 2010م.

السماوية ، فيحصل الخلل في الحياة المعيشية والاجتماعية .[1]

فالعلم غير رسالته التي يؤديها .[2]

ومن ثمة وجب أن يكون العلم محكوما بأهداف إنسانية ، وقيم روحية ، ورسالة يعمل من أجلها ويؤديها ، وإلا فلا يمكن أن يكون علما بالمنظور الإسلامي.

المطلب الثالث : الاختلاف من حيث نتائج القراءة وثمراتها :

من الواضح أن نتائج القراءة في الفكر الإسلامي تختلف كل الاختلاف عنها في الفكر الغربي ؛ فالباحث في الفكر الإسلامي، كلما ازداد علما ، ازداد تواضعا لله وخضوعا ، وتذللا له ، ويقينا بأن نعمة العلم مصدرها هو الله تعالى ، واستغل علمه فيما يرضي الله تعالى من تحقيق توحيد الله ، وتزكية النفس ، و العمارة ، والاستخلاف التي أمر بها ، والعبادة التي خلق من أجلها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ والقراءة في الفكر الإسلامي فعل يبعث الأمل والأمان في النفوس ، ويعمل على ترقية المجتمعات والشعوب ، ويصل بها إلى أسمى ما تريد ، ويخرجها من ظلمات الجهل ؛ ينور طريقها ، ويفتح آفاق مستقبلها ، فتزداد بذلك أمنا واطمئنانا ورفعة وكمالا، وكذلك كان حال الأمة الإسلامية في عهودها الأولى التي كانت تحيا بفعل القراءة ، واستمراره فيها .

في حين أن الباحث في الرؤية المادية للعلم ، ما زاده علمه إلا تكبرا وتجبرا ، واستعلاء ، ولعل هذا ما أشار إليه القرآن في معرض حديثه عن القراءة في سورة العلق. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ العلق: ٦ – ٧ ذلك أن الإنسان في الرؤية المادية للعلم كلما ازداد علما ، أحس باستغنائه بعلمه وماله عن الله تعالى ، فيجعل من علمه ذريعة لإذلال المستضعفين .

---

[1] ينظر التفسير الموضوعي بين كفتي الميزان ، عبد الجليل ،/عبد الرحيم ، ص133 .

[2] ينظر كيف نتعامل مع القرآن ، الغزالي ، ص113 .

وغير خاف على أحد ما أنتجه العلم المادي من هدم لصرح الحضارة الإنسانية التي توالت الجهود على بنائها وتشييدها ، وما سببه من تهديد وخوف في القلوب ، وما تعانيه الشعوب والمجتمعات من الجوع ، والحرمان ، والظلم ، والاضطهاد ، وقهر للإرادة ، والاستعباد بشتى الأسباب ، والوسائل التي تمتلكها ، حتى أصبحت الحياة كلها مهددة بالزوال والاندثار، نتيجة ما وصل إليه العالم المادي من تطوير للأسلحة التي باتت تفتك بالأمن والسلام في العالم.

ومن أسوء النتائج وأخطرها للرؤية المادية للعلم،هي الردة عن الدين ،والتحلل عن كل القيم ، والمبادئ ، والأخلاق لدى هذه الحضارة ، ولدى المنبهرين بما تصنعه، فضلا عن ترسيخ الفرقة ، وزيادة الهوة بين الأنظمة والشعوب الإسلامية ، مما أدى إلى عهد استعمار جديد ؛ يملي على المستضعفين إرادته ، ويتحكم في مصيرها حسبما تقتضيه مصلحته ، ويتطلب أمنه ومستقبله .[1]

وقد جعلت القراءة في الأصل فعلا لتطوير المجتمعات والشعوب ، وتنويرها ، وبناء الحضارات وتشييدها ، ولإسعاد البشرية في العاجل والآجل ، وبعث روح الأمن والاطمئنان في النفوس ، لا لأن تكون هي العامل الأول في هدم الحضارات وتزعزعها واضمحلالها .

المطلب الرابع : الاختلاف من حيث نوع القراءة :

تختلف أنواع القراءة في الرؤية القرآنية عن أنواع القراءة في الرؤية المادية ، وبذكر أنواع القراءة في القرآن الكريم، تتبين أنواع القراءة في الفكر المادي الغربي :

أ/ قراءة في ما هو مسطور : والمسطور منه ما هو مسطور إلهي ، ومنه ما هو مسطور بشري :

[1] ينظر التفسير الموضوعي للقرآن ، ص15-108-134-135 .

1- **مسطور الإلهي** : وهو الوحي بنوعيه (القرآن ،السنة) :

تتميز الأمة الإسلامية عن غيرها بأنها تملك كتابا إلهيا هو مردها في أمرها،وهو المنهج الذي فيه تسخير حياتها ، وهو المخلص الوحيد لها حين تغرق في أوحال الجهل ، وتتخبط في دجى الأمية ، في حين أن الإنسان المادي اليوم يرفض إدماج الوحي في بنيته المعرفية ، ويجعل من الكتب الدينية مصدرا يختص بالأمور الغيبية ،فلا مجال لاتخاذها مصدر ا من مصادر العلم .[1] فكانت قراءته بذلك قراءة ذرية وناقصة ، تحتاج إلى ترشيد لتقويم مسارها .

2- **مسطور بشري:**

المسطور البشري قدر مشترك بين البشر مسلما كان ، أو غير مسلم ، أو غيره ، مع كون المسطور البشري عند المسلمين أكثر سموا وشمولا ، فمن أمثلة المسطور عند المسلمين : قراءة التراث أو اجتهادات العلماء . . .وغيرها ، مع كون قراءة المسطور البشري تتميز بكونها محكومة بضوابط مثل : الإخلاص والنية في طلب العلم، ومنع قراءة ما لا يفيد ، أو ما يعود على النفس البشرية بالوباء ، كقراءة الطلاسم وغيرها من الكتب غير النافعة.

ب) **قراءة في ما هو منظور:**

وهي قراءة ما في الكون ، وكشف أسراره وقوانينه الفيزيائية ، ولقد تبين في المباحث السابقة كيف كانت دعوة القرآن إلى االتفكير في الكون ، وذم المعرضين عنه ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في قوله تعالى﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت: ٥٣، غير أن الواقع الإسلامي اليوم يشهد انكفاء وإعراضا عن النظر العلمي في الكون ، وعن تسخير خيراته والانتفاع بها ،مقابل ما يتجلى في العالم المادي من عكوف على دراسة الكون ، والتفاعل معه، والتسارع في الوصول إلى الكسب التسخيري بطريقة أو بأخرى .

ويلحق هذا النوع من القراءة قراءة السنن : وهي القواعد النفسية ، والسنن التاريخية والاجتماعية باسم الله وإذنه ، فقد تحدث القرآن الكريم عن السنن والقوانين التي تسير الحياة والأحياء على مقتضاها ، وهي قوانين تحكم الحركة التاريخية والاجتماعية والنفسية – سنن سقوط الأمم ونهوضها وغالبا ما يجيء ذلك في أعقاب القصص القرآني ، مع التأكيد بأن هذه

[1] ينظر بنائية القرآن المجيد ، أحمد عبادي ، مقال ، ص3.

السنن جارية على جميع البشر ، وأن اكتشافها والتعامل معها أمر ضروري لتحقيق العمارة في الأرض ، والقيام بأعباء الاستخلاف الإنساني ، حتى تبلغ الأمة الإسلامية مبلغ الريادة والقيادة استجابة لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ ﴿٧٨﴾﴾ الحج: ٧٨

وأذكر من هذه السنن ما يلي :

سنة التداول الحضاري : وردت في قوله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ آل عمران: ١٣٩ - ١٤٠ .

وقد تحدث العلماء عن هذه الحضارة ، وعبروا عنها بالدورات الحضارية ،ومعناها أن الحضارة تشرق في بلد، وتسقط في بلد آخر ،فمن قبل أشرقت الحضارة في البلد الإسلامي ،ثم اختفت ،وظهرت عند الغرب.

سنة التسخير : وقد فصلت في المباحث السابقة بالأدلة والشواهد من القرآن الكريم .

سنة التدرج : والتدرج سنة قرآنية لها أبعاد تربوية ، تحدث عنها العلماء في مجالات ، وقد كثر ورودها في الأحكام وغيرها . ومن ذلك أن يعرض الإسلام بتدرج في التطبيق ،فمثلا كيفية عرض الإسلام في الشرق ، تختلف عن عرضه في الغرب ، فيعطى الإسلام على مراحل حتى يتمكن من فهمه وتطبيقه [1]، مثل ما حدث في بداية الدعوة المحمدية ، في تشريع الأحكام.

[1] ينظر كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ، ص119.

خلاصة الفصل

تتسم القراءة في الرؤية القرآنية بكونها قراءة باسم الله تعالى ، تجمع قراءة المسطور وقراءة المنظور معا، وفي قراءتها للمسطور ، هناك مسطور بشري ، ومسطور إلهي الذي هو الوحي ،بينما في التفكير المادي الأمر يختلف ، فالمبدأ الذي تنطلق منه هو الطبيعة ، أو العقل المجرد ، وهي قراءة تعتمد قراءة المسطور والمنظور كذلك ،غير أنها تفتقر إلى المسطور الإلهي الذي هو الوحي الصحيح، أو غير المحرف ، وكل ما تعتمده هو ديانات سماوية محرفة ، مما أدى بالعلم المعاصر إلى رفض الوحي في بنيته المعرفية ، مؤكدا أن الكتب الدينية تختص بالكلام عن الأمور الغيبية ، فلا مجال لاتخاذه مصدرا من مصادر العلم [1]، فتكون قراءته قراءة ناقصة تفتقر إلى كمال الهدف والغاية ، وكل من القراءتين سواء القراءة بالرؤية القرآنية ، أو القراءة بالرؤية المادية تصل إلى خبرات ومعارف في شتى المجالات ،لكن النتائج تختلف ، لأن المقدمات مختلفة ، فالقراءة باسم الله نتيجتها حضارة إيمانية طريقها وراثة الأرض وإعمارها ، بينما القراءة في الرؤية المادية الأمر يختلف فنتيجة قراءتها طغيان وإفساد في الأرض .

[1] ينظر بنائية القرآن المجيد دعامة من دعامات الختم أحمد عبادي ، مقال ، ص34 .

الخاتمة

نتائج البحث:

- بعد الجولة العلمية في ثنايا هذا البحث توصلت إلى النتائج الآتية :
  - 1/على الإنسان أن يختار ما يقرأ في الدنيا، ويحسن قراءته ، حتى يتمكن من قراءة كتابه على أحسن وجه في الآخرة.
- 2/ العلم الذي دعا إليه القرآن الكريم لا يقتصر على العلم الشرعي وإنما هو كل علم يتعرف من خلاله على الله تعالى ، ويوصل إلى الإيمان بوحدانيته ، سواء أكان شرعيا أم غيره لأن العلم بالله ينقسم إلى أقسام : علم بأمره ، وعلم بخلقه .
- 3/ الألفاظ التي تتعلق بالقراءة كالتدبر والتلاوة والترتيل ، ليست على مستوى واحد من الفهم ، ولا تؤدي معنى واحدا ، كما أن القرآن لم يذكرها عوضا عن القراءة ، وإنما هي مستويات للتعامل مع القرآن الكريم ، فتجتمع جميعها لتؤدي المستوى المطلوب لقراءة القرآن والتعامل معه.
- 4/ حقيقة قراءة القرآن لا تقتصر على مجرد قراءة الألفاظ والنطق بها ، وإنما هي قراءة جامعة لجميع المستويات التي ذكرها القرآن نفسه ، فتبدأ بقراءة مبينة مفسرة مترسلة ، ثم تدبر معناها والوقوف عليه ، ثم إتباع هديها والعمل بما جاء فيها .
- 5/ القراءة التي دعا إليها القرآن الكريم ؛ والتي تحقق الشهود الحضاري للأمة هي قراءة مزدوجة ؛ تنطلق أساسا من الكتاب المسطور(الوحي)، والمنظور(الكون) .
- 6/ قراءة القرآن وقراءة الكون مصدران أساسان في تحقيق العبودية والوحدانية لله تعالى.
- 7/ جعل القرآن محددات وضوابط لكل من قراءة الكون وقراءة القرآن ، فقراءة القرآن بتدبر و تلاوة وترتيل ،والكون بإيمان وشكر وتواضع لله.

الخاتمة

- 8/ إذا كان العيب في قراءة الغرب هو افتقارها للوحي ، فكانت قراءة أورثت تجبرا وتكبرا وطغيانا ، فإن عيب القراءة عند المسلمين اليوم هو قصورها وعدم الانتفاع بما جاء في الوحي مسطورا ، وما هو في الكون منظورا ، فكانت قراءة أورثت ذلا وهوانا وصغارا .
- 9/ القراءة في القرآن الكريم لا تقتصر على كونها أمر ا وجه إلى النبي – صلى **الله عليه وسلم** – فحسب ، وإنما هي قراءة لها محدداتها ومقاصدها ومجالاتها، تستخلص أساسا من هداية القرآن الكريم.
- 10/ إن العبرة من القراءة ليست في أ ن يقرأ الإنسان الكلمات ، وإنما أن يعرف الإنسان ماذا ؟ يقرأ وكيف يقرأ ؟ ولماذا يقرأ ؟ .

- من خلال تطرقي لدراسة موضوع القراءة في القرآن الكريم رأيت أن أوصي بما يلي :

- 1- إن مفردات القرآن الكريم ينبغي أن يبحث عن معانيها من القرآن الكريم نفسه ، ومن ثمة ضرورة اعتبار القرآن الكريم القاموس الأول لشرح مفرداته واستخلاص معانيها – مع الاعتماد على اللسان العربي – فهو يعرض المفردة مجملة ثم يفصلها في مواضع أخرى ، تتبين من خلال السياق المتعلق بها في مواضع أخرى .
- 2- ضرورة الاهتمام بالمفردات القرآنية واعتبارها مدخلا أساسا لبيان القرآن الكريم؛ ذلك أن المصطلحات هي مفتاح العلوم ، والعلم هو مجموعة مناهج تشكلت من مجموعة نظريات مشكلة من مجموعة قواعد ، والقواعد قائمة على مجموعة من المصطلحات (المفردات) .
- 3- ضرورة إعادة النظر في مسألة الترادف التي خاض فيها اللغويون قديما ، واختلفت آراءوهم بين نفيها وإثباتها ، والانتقال بالمسألة من مرحلة المناقشة النظرية ، والنزول بها إلى ميدان الدراسات التطبيقية على النص القرآني ؛ وذلك باستقراء كل المعاني التي يبدو في ظاهرها الترادف ، والبحث عن معانيها مفردة تلو مفردة ، وفي ذلك فائدة علمية وإدراك لإعجاز القرآن الكريم .
- 4- ترشيد مسار القراءة بالعودة إلى المنهج الذي رسمه القرآن الكريم ، حتى تتمكن الأمة من إحياء حضارتها ونهضتها من جديد ، وتجسيد ذلك في البرامج الدراسية والفقرات المنهجية .
- 5- ضرورة مزاوجة العلم الشرعي للعلم الكوني ،واعتبار أن كلا منهما مكملا لآخر،انطلاقا من قوله تعالى " ﴿ . . . رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ البقرة: ٢٠١، ومن قوله – صلى الله عليه وسلم – " اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا "، وذلك حتى لا يقع المسلم في ما وقع فيه الغرب من فصله بين الدين والحياة ، أو بين الدين والعلم .
- 6- اتخاذ القرآن الكريم مصدرا أساسا في حل المشكلات التي ما باتت تفتك بالأمة وهدد كيانها وتزعزع أمنها واستقرارها .

- وفي الأخير أعتذر على ما كان مني من نقص ، أو لفرط جهل أو قصور فهم .

وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

الفهـــــارس

فهرسة الآيات القرآنية .

فهرسة الأحاديث النبوية .

فهرسة الآثار.

فهرسة الأعلام.

قائمة المصادر والمراجع.

فهرسة المواضيع

فهرسة الآيات

الآية **الصفحة**

البقـــــــــــــرة

﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ ...٣٢ ﴾ 110

﴿ ...فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ ... ﴾ 68

﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ ...٧٨ ﴾ 25

﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ... ٧٩ ﴾ 27-26

﴿ ...يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ...١٢١ ﴾ 61-59-58

﴿ ...وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾ 109

﴿ ...وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم ...١٢٠ ﴾ 33

﴿ ...رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ ...٢٠١ ﴾ 131

آل عمـــــــــــران

﴿ ...ۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ...٧ ﴾ 79

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ...١٨ ﴾.....18

﴿ ... فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ ... ﴾ 27

﴿ ...ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧ ﴾ 93-85

﴿ ... وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ ... ﴿٢٠﴾ ﴾ 28

﴿ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ ... ﴿٥٨﴾ ﴾ 57

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ ... ﴿٧٥﴾ ﴾ 28

﴿ ... وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ... ﴿٧٩﴾ ﴾ 61

﴿ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ ... ﴿١١٣﴾ ﴾ 57

﴿ ... يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ 63

﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ ... ﴿١٣٩﴾ ﴾ 126

﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ... ﴿١٦٤﴾ ﴾ 114

﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ... ﴿١٩٠﴾ ﴾ 100-91

النســـــاء

﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ ... ﴿٤١﴾ ﴾ 72

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ ... ﴾ 53

﴿ ... وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ 85

﴿ ... وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ ... ﴿١١٣﴾ ﴾ 109

المائـــــــــدة

﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ ... ﴿٦٣﴾ ﴾ 84

الأنعـــــــام

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِی خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ... ﴿١﴾ ﴾ 98-99

﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا ... ﴿١٤﴾ ﴾ 93

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ .. ﴿٧٥﴾ ... ﴿٧٦﴾ ... ﴿٧٧﴾ ... ﴿٧٨﴾ ﴾ 88

﴿ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ ... ﴿٧٩﴾ ﴾ 88

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ ... ﴿١٥٥﴾ ﴾ 59

﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ ... ﴿١٦٢﴾ ﴾ 122

الأعـــــــراف

﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ ..... ﴿٥٣﴾ ﴾ 79

﴿ ... أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ... ﴿٥٤﴾ ﴾ 101-103-120

﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ ... ﴿١٤٦﴾ ﴾ 42

﴿ .... ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ... ﴿١٥٧﴾ ﴾ 27-28

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ... ﴿١٥٨﴾ ﴾ 27

﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ... ﴿١٨٥﴾ ﴾ 45-90

﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ 93

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ .... ﴿٢٠٤﴾ ﴾ 40-44

يـــــــونس

﴿لِنَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ...﴿٥﴾﴾ .....35.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ...﴿٧﴾﴾ 90

﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ ﴿١٥﴾﴾ 56

﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ ...﴿١٦﴾﴾ 61

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ...﴿١٠١﴾﴾ 45

هـــــــــود

﴿...وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ... ﴿١٧﴾﴾ 57

﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ ...﴿٤٩﴾﴾ 3

يـــــــوسف

﴿...نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ 79

﴿...وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ 79

﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ...﴿١٠٥﴾﴾ 90

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ...﴿١٠٨﴾﴾ 115

﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ...﴿١١١﴾﴾ 54

الرعـــــــد

﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ ...﴿٤١﴾ ﴾ 104

إبراهيـــــــم

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴿٣٢﴾ ﴾ 95

النحـــــــل

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ ...﴿٤﴾...﴿٥﴾...﴿٦﴾ ﴾ .....89.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ...﴿١٢﴾ ﴾ 96

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ ...﴿١٣﴾ ﴾ 89

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ ....﴿١٤﴾ ﴾ 96

﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ...﴿٩٨﴾ ﴾ 40

الإســـــــراء

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ...﴿٩﴾ ﴾ 116-101-4

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ ...﴿١٣﴾ ﴾.....47

﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾.....47-15

﴿ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ ...﴿٤٦﴾ ﴾ .....41.

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ .... ﴾ 41

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ ...﴿٧١﴾ ﴾ 48-22

﴿ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ ...﴿٧٢﴾ ﴾ .....50.

﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ۖ ...﴿٩٣﴾ ﴾ 43-22

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ...﴿١٠٦﴾ ﴾ 50-44-42

﴿ ...إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ .... ﴾.....71

الكهـــــف

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ ...﴿١﴾ ﴾ 98

﴿ ... وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ ﴾.....99

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ ...﴿٢٧﴾ ﴾ 56

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ...﴿٥٧﴾ ﴾ 42

﴿ ...سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ 79

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ ...﴿٩٥﴾ ﴾ 110

﴿ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى...﴿٩٨﴾ ﴾ 132

مريـــــم

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ ...﴿٤٣﴾ ﴾ 9

﴿ ...إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴾ 71

﴿ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ 47

طـــــه

﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ ...﴿١١٤﴾ ﴾ 30

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ ..... 17.

الأنبيـــــاء

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ...﴿٢٢﴾ ﴾ 9

الحـــــج

﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ...﴿٥٤﴾ ﴾ ..... .107.

﴿ ...يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ...﴿٦١﴾ ﴾ 90

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ ...﴿٦٥﴾ ﴾ 95

﴿ ...لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ...﴿٧٨﴾ ﴾ 151

المومنـــــون

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ 53

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ....(٩١) ﴾ 93

الفرقـــــان

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ...(١) ﴾ 98-99

﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا (٣٢) ﴾ 50

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا (٥٩) ﴾ 18

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ...(٧٣) ﴾ 71

النمـــــــل

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ...(١٥) ﴾ 18

﴿ ...وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا ...(١٥) ﴾ 18

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ . .(٢٤) ﴾.....88

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ...(٤٠) ﴾ 17

﴿ ...هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ... (٤٠) ﴾ 110

القـــــصص

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ... ﴿٧٨﴾ ﴾.....113.

العنكبـــــوت

﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ ﴿٤٣﴾ ﴾.....18

﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ... ﴿٤٥﴾ ﴾ 56

﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ ... ﴿٤٨﴾ ﴾ 22

الـــــروم

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ ﴾.....29

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ ... ﴿٥٦﴾ ﴾ 107-17

لقمـــان

﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴿٢٠﴾ ﴾.....95

فاطـــــر

﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ... ﴿٢٨﴾ ﴾ 17

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ... ﴿٢٩﴾ ﴾ 64

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴿٤٠﴾ ﴾ 93

يســـــن

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ...﴿١٢﴾ ﴾.....22

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ...﴿٣٩﴾...﴿٤٠﴾ ﴾.....90-89

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم ...﴿٧١﴾ ﴾.....46

﴿ ...أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.....112

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾.....47

ص

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ ...﴿٢٩﴾ ﴾.....53-4

الزمـــــر

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ...﴿٩﴾ ﴾.....108-17

فصـــــلت

﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ...﴿٥﴾ ﴾.....42

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ...﴿٥٣﴾ ﴾.....125

الزخـــــرف

﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ...﴿١٩﴾ ﴾.....22.

الجاثيـــــة

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ...﴿١٣﴾ ﴾.....95

الأحقـــــاف

﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ ..﴿٢٩﴾ قَالُوٓاْ ...﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ ..﴿٣١﴾ ﴾ 71-41

محمـــــــد

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ 53

الـــــذاريات

﴿ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ 89

﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ 123

القمـــــر

﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ 86

الواقعـــــة

﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ 99

﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ 99

المجادلـــــة

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ...﴿١١﴾ ﴾ 17

الجمعـــــة

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ .....﴿٢﴾ ﴾ 114-28-2

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ....﴿٥﴾ ﴾ 25

التغابـــــن

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم ...﴿٢﴾ ﴾ 91

الطـــــلاق

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ...﴿١٢﴾ ﴾ 114

المـــــلك

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ .....﴿١﴾ ﴾ 98

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ...﴿١٥﴾ ﴾ 95-94

الحاقـــة

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ 120

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ... ﴾ 47-22

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.....100

﴿ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ ﴾.....120

الجـــن

﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ... ١ .... ٢ ﴾ 71

المزمـــــل

﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ ﴾ 50

﴿ ... ۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ ... ﴾ 44-43

القيامـــة

﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ ﴾ 31-30

﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ ﴾.....43

﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ﴾ 44

التكويـــــر

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ﴾ 100

﴿ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ ﴾.....100

﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾ 100

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ ﴾.....120

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ﴾ .....120.

الطـــــارق

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾ 46

الأعلـــى

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ ﴾ 30

الغاشيـــــة

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ ﴾ 47

﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ ﴾ 47

﴿ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ ﴾ 47

﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ ﴾ 47

الفجـــــر

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾ 81

البلـــــد

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ ﴾ 111

الشـــمس

﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ ﴾.....63

العلـــق

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ 106-88-39-19-13

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ﴾ 45-13

﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾ 109–39–13

﴿ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ ﴾ 39-19-13

﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ 19-13

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ ﴾ 123

التيـــن

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ۝٤ ﴾ 111

فهرس الأحاديث	
الحديث	الصفحة
"إنا أمية أمية لا تكتب ولا تحسب . . . "	31
"إقرأ علي القرآن " .	72-71
"اللهم أصلح لنا ديننا . . . "	131
"اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع . . . "	107
"اللهم علمنا ما ينفعنا . . . "	108
"اللهم منزل القرآن ومجري السحاب "	101
"إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به آخرين "	66
"إن هذا القرآن حبل الله . . . . "	66
" إن القرآن مأدبة . . . . "	71
"إن هذا القرآن شافع ومشفع . . . "	67-66
"خيركم من تعلم القرآن وعلمه "	68
"ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– . . . . "	74
"القرآن غنى لافقر بعده . . . "	66
"كان خلقه القرآن"	73-63
"كان الرجل منا	62-59
كان يجمع بين قتلى وجرحى في بدر . . "	70
"لا حسد إلا في اثنتين . . . " .	68
"لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر . . . "	26

"مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن . . . "	69-68
"من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه "	68
"ويل لمن لاكها بين لحييه ولم يتدبر "	100-99
"يا أهل القرآن لا تتوسدوا القرآن . . . . . "	61-4
"يجيء صاحب القرآن . . . "	70
"يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتقه . . . "	70

فهرس الآثار		
الأثر	الصحابي	الصفحة
"أهذ كهذ الشعر . . ."	ابن مسعود	51
"إن هذا القرآن حبل الله . . . " .	ابن مسعود	66
"إن هذا القرآن مأدبة الله . . . "	ابن مسعود	67
"ما في القرآن أشد توبيخا من هذه"	ابن عباس	73
ما في القرآن أخوف من هذه" . . .	الضحاك	73
"من أراد العلم فليثور القرآن . . . "	ابن مسعود	4

فهرس الأعلام

الرقم	العلم	الصفحة.
01	إبراهيم – عليه السلام –	94-88
02	إبراهيم رمضان	35
03	ابن الأثير .	14
04	ابن الأعرابي	85
05	ابن تيمية عبد الحليم	36-35-34-31-25
06	ابن جريج	41
07	ابن حجر العسقلاني	30
08	ابن زيد	50
09	ابن سيده.	14
10	ابن عامر الشعبي	43
11	ابن عباس – رضي الله عنه–	73-58-50-42-31-25-22-
12	ابن عطاء الله السكندري	110-94
13	ابن عمر. –رضي الله عنه	68-58
14	ابن القيم الجوزية	41
15	ابن كثير	100-85-73-57-54-47-28-22-
16	ابن ماجه	74
17	ابن مسعود–رضي الله عنه	82-71-67-66-62-59-58-51-4-

18	ابن منصور	79-78
19	ابن منظور	24
20	أبو العباس	80-49
21	أبو عبيدة المليكي	4
22	أبو عبيد	80
23	أبو هريرة – رضي الله عنه –	38
24	أبي بن كعب – رضي الله عنه –	82-5
25	أحمد رحماني	77
26	آدم – عليه السلام –	110-54
27	أكتم بن صيفي	52
28	اينشتاين.	102
29	البخاري.	31
30	البستاني	86
31	البغوي	81
32	بلال بن رباح	100-99
33	بلقيس	110-94
34	البوطي محمد سعيد رمضان	110-94
35	البيهقي	65-4
36	جابر بن عبد الله – رضي الله عنه –	70
37	جبريل – عليه السلام –	100-60-43---30

38	الجرجاني	86
39	حاجي خليفة.	77
40	حبنكة الميداني	53-30-21-
41	الحسن	98
42	الخضر	79
43	داوود .– عليه السلام –	10
44	الذهبي محمد حسين	87
45	ذو القرنين	110
46	الرازي محمد بن أبي بكر	85
47	ربعى بن عامر	130
58	رشيد رضا	28-26
59	الراغب الأصفهاني	80
60	الزبيدي	24
61	الزجاج	50-24-
62	الزرقاني	77-76
63	الزركشي	77-76
64	زياد بن لبيد	74
65	زيد	91
66	زيد بن ثابت – رضي الله عنه –	36
67	الطاهر بن عاشور	-50-32-27-26

68	الطبراني	25
69	الطبري	50-43-42
70	الضحاك.	73
71	سليمان – عليه السلام –	110-10-9
72	سيبويه	85
73	سيد قطب	-111-98
74	السيوطي جلال الدين	30
75	الشاطبي بن إسحاق	35-34-33-32-31
76	الشعبي	43
77	الشعراوي .	109-21
78	عاد	133
79	عائشة أم المؤمنين	73-62-5-
80	عبد الجليل عبد الرحيم	7
81	عكرمة	25
82	الغزالي أبو حامد	113-111-108
83	الغزالي محمد	120-111-102-97-72-34-33-32
84	فرعون	54
85	الفناري	77
86	قارون	113-110
87	قتادة	-54-41-25-20-

88	القرطبي	99-47-43-42-29-27
89	القرضاوي.	107-41-
90	الكواشي	81
91	الليث.	78-55-14
92	ليتز	93
93	الماتريدي.	81
94	مالك بن أنس	6
95	مجاهد .	57-50-42
96	محمد – صلى الله عليه وسلم –	88-31-8
97	منصور ابن إبراهيم	27
98	موريس	67
99	موسى – عليه السلام –	54
100	نعيمة لبداوي	7

.

قائمة المصادر والمراجع

1/ القرآن الكريم

رواية حفص (مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي)

2/ السنة النبوية

-تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ، عبد الرحمن محمد بن عمر الشيباني الشافعي الأثيري ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ، ط(1405ه-1985) .

-الجامع الصحيح ، البخاري ، إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، ط الأولى(1404ه/1984م) .

-الجامع الصحيح ، سنن الترمذي ، أبو عيسى الترمذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، تحقيق : كما يوسف الحوت ، ط(1408ه-1987) .

-سنن ابن ماجه ، ابن ماجه ، جمع وترتيب وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث، القاهرة (د،ط) .سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي ، دار الكتب العلمية ، دار إحياء السنة النبوية (د،ط) .

- شعب الإيمان ، أبو بكر بن محمد بن الحسن البيهقي ، تحقيق محمد سعيد زغلول، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط(1421-2000م) .

-صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، (د،ط) .

-فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ترقيم فؤاد عبد الباقي ، تصحيح وإشراف : محمد الدين الخطيب.

-فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المكتبة التوفيقية ، مصر القاهرة ، (د،ط) .

-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الحافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي ، بتحرير العراقي وابن حجر، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ،ط2(1402ه-1982م) .

-مستدرك الحاكم، أبو العبد الله الحاكم النيسابوري ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط(د،ت) .

-مشكاة المصابيح ، النسخة الهندية ، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق وتعقيب رمضان بن أحمد بن علي آل نوف .قدم له عبد العزيز بن عبد الله الراجحي مكتبة التوبة، دار ابن حزم ، ط(1423ه-2003م.) .

3/كتب التفسير:

-التحرير والتنوير ،محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ، ط(1984) .

-تفسير الشعراوي ، الشعراوي (د ، ن) ، (د ، ط) .

-تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي متضمنة تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة الصفا الطبعة الأولى 1425ه/2004 .

-تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المنار، القاهرة ، ط(د،ت) .

-التفسير القيم ، ابن القيم الجوزية ، جمعه محمد الندوي ، حققه الفقي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، (د،ط) .

-التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر دمشق سورية ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، ط1(1418ه-1998م) .

-جامع البيان في تأويل القرآن ، الإمام أبو جعفر الطبري ، حققه أحمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

-جامع البيان في تأويل آي القرآن ، أبو جعفر الطبري ، دار الفكر بيروت لبنان،ط(1425ه-18-1984م) .

-الجامع لأحكام القرآن ، أبو أحمد الأنصاري القرطبي ، دار ابن حزم ط1(1465ه ،2004م) .

-فتح القدير ،الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، محمد بن علي محمد الشوكاني، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ط(د،ط) .

-في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط(1412ه،1992م) .

-مختصر تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر الطبري ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ، وصالح أحمد رضا مكتبة رحاب ، نهج ريسوني ، ساحة بور سعيد ،الجزائر.

-المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، دار المعرفة بيروت لبنان .

-الواضح في تفسير القرآن الكريم ، محمد بن وهب الدينوري ، تحقيق أحمد فريد م 2، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية العلمية بيروت لبنان ط1(1424ه-2003م) .

4/كتب التفسير الموضوعي

-التفسير الموضوعي في كفتي الميزان مع القراءة بين الوسائل الربانية والأسباب البشرية المادية ، سلسلة التراث الروحي في الإسلام ، عبد الرحيم عبد الجليل.

-التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا ، أحمد رحماني منشورات جامعة باتنة ، ص21 .

5/كتب علوم القرآن

-الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي الشافعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط(1428ه-1429ه،2008م) .

-أسباب النزول ، الحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الهيثم القاهرة ، الطبعة الأولى 1426ه/2005م.

-بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم ، موسى إبراهيم لإبراهيم ، دار عمار ، الطبعة الثانية1416 ه/1996م.

-البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية ، صيدا بيروت (د،ط) .

-تفسير الرسول – صلى الله عليه وسلم – للقرآن .محمد عفيفي (د،ط) .

-التفسير والمفسرون بحث تفصيلي عن نشأة التفسير وتطوه وألوانه ومذاهبه ، محمد حسين الذهبي ، دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق عفيفي ، ط2(1396-1976) .

-مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ،ط7(1400ه-1980م) .

-مناهل العرفان في علوم القرآن ، عبد العظيم الزرقاني ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ط1999

6/ كتب الدراسات القرآنية

-العقل والإيمان في القرآن ، د/يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ناشرون ط(1422ه،2001م) .

-القرآن هدايته وإعجازه ، محمد الصادق عرجون(د،ط) .

-قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل ، محمد عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم دمشق ط(1425ه-2004م) .

-كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ، في مدارسة أجراها محمد عمر عبيد حسنة ، دار الرجاء ، عنابة (د،ط) .

-كيف نتعامل مع القرآن ، الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي ، دار الشروق ، ط(1421ه،2000م) .

- المحاور الخمسة للقرآن ، محمد الغزالي ، دار القلم دمشق ، ط4(1426ه2005م

معارج التفكر ودقائق التدبر ، محمد عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم دمشق ، ط(1420ه،2000م) .

7/ كتب أصول الفقه:

1/الموافقات في أصول الشريعة ، أبو إسحاق الشاطبي ، تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان ، دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة السادسة ، ه1425/2004.م

8 / كتب الفقه:

مجموع الفتاوى ، أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن ، محمد قاسم ،المكتب التعليمي السعودي بالمغرب ، مكتبة المعارف الرباط المغرب (د .ط) .

9/كتب الفكر

-الإنسان والكون في الإسلام ، أبو الوفاء الغنيمي التفتزاني ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط(1995م) .

-ركائز الإيمان بين العقل والقلب ، محمد الغزالي

-الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي ، الشيخ يوسف القرضاوي ، (د، ن) .

-الطريق من هنا ، محمد الغزالي ، دار الشروق ، الطبعة الخامسة 1425ه/2005م.

-العلم والعقل في القرآن الكريم ، يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط(1422ه-2001م) .

-قضايا إسلامية معاصرة "مداخل جديدة في التفسير" ، غالب حسن ، دار الهادي للطباعة و النشر ، ط1(1424ه-2003م) .

-الكون هدايته وإعجازه ، محمد الصادق عرجون ، ط(د،ت)،(د،ن) .

-المجموعة الكاملة ، الإسلاميات "التفكير فريضة إسلامية " ، عباس محمود العقاد دار الكتاب اللبناني

-نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث ، محمد المبارك ، الضياء للإنتاج الإعلامي والتوزيع، (د،ط) .

-نحو منهجية معرفية قرآنية ، محاولا ت في البيان منهج التوحيدي للمعرفة ، د.طه جابر العلواني، دار الهادي ، ط1(1425-2003) .

-نظرات في القرآن ، محمد الغزالي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط7(2006) .

-الوحدة البنائية للقرآن المجيد ، د/طه جابر العلواني ، مكتبة الشروق الدولية (1427-2004م) .

10/ كتب العقيدة :

الحكم العطائية شرح وتحليل ، د/محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ، دار الفكر سوريا دمشق.

كبرى اليقينيات الكونية "وجود الخالق ووظيفة المخلوق"، د/محمد سعيد رمضان البوطي، الملكية للإعلام والنشر والتوزيع ، دار الفكر ط(1402ه—1389م) .

11/ كتب اللغة :

-أساس البلاغة ، محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق وتقديم وصنع الفهارس : مزيد نعيم،شوقي المغربي ، مكتبة ناشرون ، ط1(1998) ج1، ص21.

-تاج العروس محمد المرتضى ، دار صادر بيروت لبنان /د(د،ت) .

-التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط(2000م)

-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله ، دار الكتب العلمية منشورات علي بيضون ، ط1(1429،2008م) .

- لسان العرب المحيط ، ابن منظور،قدم له العلايلي ، دار الجيل بيروت ، دار لسان العرب بيروت ، ط(1408ه/1988م) .

-محيط المحيط ، بطرس البستاني ، مكتبة ناشرون ط(1997-1998م) .

-مختار الصحاح ، الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، عني بترتيبه محمود خاطر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط(1425،1426ه-2005م) .

-مقاييس اللغة ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء ، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل ، بيروت لبنان.

12/ كتب التنمية البشرية

-أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي مقارنة بالفكر الغربي ، محمد موسى بابا عمي، نشر جمعية التراث القرارة غرداية ، ص187 .

13 / كتب الثقافة الإسلامية

-إحياء علوم الدين وبهامشه تخريج الحافظ العراقي ، دار الكتاب العربي ط دط. . .

-القراءة منهج حياة ،الدكتور راغب السرجاني ، د، ن. د-ت.

14/ المواقع الإلكترونية

-تبدل معنى القراءة والإقراء في مصطلح المسلمين ، www.us0laldin.org ، تاريخ الدخول : 18-12-2008م.

-تطور مفهوم القراءة ، www.algmaa.info./v.b.neureplv. تاريخ الدخول: 2009/06/70 .

-بنائية القرآن المجيد دعامة من دعامات الختم ، أحمد عبادي www.heraمجلة.magazin.com أكتوبر 2009م.

-فقه السيرة ، د.محمد راتب النابلسي، www.quran.com. تاريخ التحديث: 2010/01/14م.تاريخ الدخول :7 2010/02/

-في مناهج التعامل مع القرآن عبد الرحمن الحاج 2010/07/19 .

-القراءة والقرآن ، محمد علي www.alhewar .org، تاريخ الدخول: 2010/02/07 .

-القراءة والبناء الحضاري ، نعيمة لبداوي ، موقع الرابطة المحمدية للعلماء ، تاريخ التحديث : 25 ذي الحجة 1426الموافق ل : 25يناير 2006م ، تاريخ الدخول :

2008/12/18م.

-الواجب المعرفي تجاه القرآن ، عبد الرحمن حللي ، ملتقى الإبداع الفكري. www.almeltaka.net.01/07/2010

15 المجلات والدوريات :

-بحوث مؤتمر الشريعة في الجامعات ، فتحي حسين ملكاوي ، عبد الكريم أبو سل ، عمان ، ط1، المجلد 1 .

16 اللقاءات :

-دورة البرمجة الزمنية ، الهيئة المغاربية للتدريب الفعال ، المدرب ، داري قدور، تيميمون أدرار ، أيـــــام :28 /29صفر ، 05-06ربيع الأول ، الموافق ل : 12-13-19-20فبراير 2010م.

المواضيع **الصفحة**

مقدمة.....4

الفصل الأول : متعلقات فعل القراءة.....**11**

تمهيد :.....12

المبحث الأول : مفهوم القراءة والعلاقة بينها وبين العلم والكتابة **13**

المطلب الأول : مفهوم القراءة وتطوره في لغة العرب.....13

المطلب الثاني: مكانة العلم في القرآن الكريم وعلاقته بالقراءة 16

المطلب الثالث : العلاقة بين القراءة والكتابة في القرآن الكريم.....20

المبحث الثاني : العلاقة بين الدعوة إلى القراءة وألفاظ الأمي والأمية في القرآن.....**24**

المطلب الأول : مفهوم الأمية في اللغة والقرآن الكريم.....24

المطلب الثاني: أمية الأمة وأمية الشريعة 31

الفصل الثاني : دلالات الفعل قرأ في القرآن الكريم **37**

تمهيد: 38

المبحث الأول : اشتقاقات الفعل قرأ في القرآن الكريم ، ومعناها في سياقها الموضعي **39**

المطلب الأول : ورود فعل القراءة في سياق القراءة اللغوية.....39

المطلب الثاني : ورود فعل القراءة في سياق قراءة القرآن 40

المطلب الثالث : وروده في سياق قراءة الكون.....45

المطلب الرابع : وروده في سياق قراءة كتاب الأعمال.....47

المبحث الثاني : الألفاظ المتعلقة بالقراءة في القرآن الكريم ومعناها في سياقها الموضعي.....**49**

المطلب الأول : العلاقة بين الترتيل والقراءة.....49

المطلب الثاني : العلاقة القراءة بين التدبر والقراءة.....52

المطلب الثالث : العلاقة القراءة بين التلاوة والقراءة.....55

الفصل الثالث : مجالات القراءة في القرآن الكريم.....64

تمهيد.....65

المبحث الأول : قراءة الوحي.....66

المطلب الأول : فضل قراءة القرآن.....66

المطلب الثاني : العلاقة بين القارئ والنص القرآني.....71

المطلب الثالث : الفرق بين تفسير القرآن وتأويله.....75

المطلب الرابع : الفرق بين تفسير القرآن وقراته.....82

المبحث الثاني : قراءة الكون.....85

المطلب الأول : تعريف الكون.....85

المطلب الثاني : دعوة القرآن إلى قراءة الكون.....87

المطلب الثالث : أهمية قراءة الكون.....92

المبحث الثالث : العلاقة بين القرآن والكون في القرآن الكريم.....98

المطلب الأول : الحديث عن البركة وامتداد النعم في كل منهما 98

المطلب الثاني : القسم بالكون على عظمة القرآن.....99

الفصل الثالث : خصائص القراء ة في الرؤية القرآنية 104

تمهيد.....105

المبحث الأول : القراءة في الرؤية القرآنية 106

المطلب الأول : محددات القراءة في الرؤية القرآنية.....106

المطلب الثاني : أهداف القراءة في الرؤية القرآنية.....114

المبحث الثاني : الفرق بين خصائص القراءة في الرؤية القرآنية وخصائصها في الرؤية المادية.....**119**

المطلب الأول : الاختلاف بينهما من حيث مبدأ القراءة.....119

المطلب الثاني : الاختلاف بينهما من حيث هدف القراءة وغايتها.....121

المطلب الثالث : الاختلاف بينهما من حيث نتائج القراءة وثمراتها.....123

المطلب الرابع : الاختلاف بينهما من حيث نوع القراءة.....124

الخاتمة.....128

الفهارس.....133

فهرس الآيات.....134

فهرس الأحاديث.....149

فهر س الآثار.....151

فهرس الأعلام.....152

قائمة المصادر والمراجع.....157

فهرس المواضيع.....166

خلاصة المذكرة

- إن كلمة إقرأ هي أول كلمة ابتدأ بها القرآن الكريم ، ومنها تشكلت العقيدة والفكر ، وبنيت المجتمعات والأمم باستمرار فعل القراءة فيها .

والقراءة التي أمر بها القرن الكريم هي قراءة باسم الله تعالى ، متأملة ، متدبرة للكتابين ؛ كتاب الله المسطور وكونه المنظور جنبا إلى جنب ، وكلما انحسرت القراءة في أحدهما دون الآخر توقف العطاء وساد الطغيان ؛ إذ الاقتصار على قراءة الكون دون قراءة القرآن تفقد الإنسان الصلة بخالق الكون ومبدعه ، وتفقده الشعور بالخلافة فيه ، وبكونه مؤتمن فيه ، ومحاسب على ما يفعله فيه ، فيتخذ من نفسه إلها بدافع المشاعر والغرائز التي تولها الانحرافات ، ويجعله يتوهم من نفسه أن علمه المحدود أمكنه من السيطرة على كل شيء في الوجودقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ ﴾ العلق: ٦ – كما هو حال المجتمع الغربي- ، وفي المقابل ؛ فإن الاقتصار على قراة القرآن دون قراءة للوجود وفهم أسراره ومعانيه وحقيقته تشل طاقة الإنسان، وتجعل مآله النفور من الدنيا والزهد فيها فيكون بذلك بعيدا عن تحقيق مهمة الخلافة ، وتمنعه من الانتفاع بنعمة التسخير ، وتجعله دليلا في يد غيره كما هو حال المجتمعات الإسلامية اليوم- لهذا وجب ترشيد فعل القراءة استنادا لمبادئ الهدي القرآن .